الثقافة

٨

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق

١٩٩٣

الثقافة

أدبية فكرية جامعة تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

مؤسسها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش

FONDATEUR
ET RÉDACTEUR EN CHEF
Madhat Akkache

هـ ٢٢٩٩٨٤ P.H 229984
ص.ب/٢٥٧٠/ B.O.P. 2570
دمشق DAMAS

أيلول ١٩٩٣

محتويات العدد

محمد خالد قطمة

" أهلاً وسهلاً "

وداد قباني

من هو هذا الشاعر الذي يقرر سلفا الموت على كل من يمسك قلما ويكتب به شعرا كان أم نثرا ؟ والموت هو الحقيقة الأكيدة والوحيدة في الوجود ، التي ستواجه كل انسان ولو بلغ من العمر عتيا ، لم يقصده الشاعر إنما قصد الموت قرارا وجاهيا غير قابل للطعن كقرار شيخ اعرابي يقول :

" من يكتب شعرا سوف يموت
من يكتب نثرا سوف يموت
فالقتل قرار اعرابي ضدالنثر وضد الشعر .. "

إنه الشاعر محمد خالد قطمة الذي انضم الى أسرة مجلة الثقافة في مسيرتها الرائدة ، عضوا بارزا في هيئة مستشاريها وهو السوري الأصل والمولود في حماه ٢٩-٦-١٩٣٤

صحفيا كبيرا كان ولا يزال ، فقد امتهن الصحافة منذ عام ١٩٥٥ وعمل مديرا لتحرير صحيفة البناء اللبنانية ثم محررا سياسيا في جريدة الأيام الدمشقية .. لكنه أحب الارتحال فحمل قلمه وسار في الآفاق يائسا يعاني من إحباطات كثيرة عرقلت مسيرة حياته وهو القائل:

" فاحمل صليبك وارتحل
هيهات تسمعك الآذان
ما عادت الأرض التي أحببتها
وطن الحياة
وإنما صارت كفن ..
.

وحط الرحال أخيرا في الكويت الشقيق وأقام فيها واسس عددا من الصحف والمجلات ابرزها (الوطن) و (الأنباء) اليوميتان .. إضافة الى تاليفه لعدد من الكتب السياسية أهمها (٦ أيام في الاسبوع - كتاب من الذاكرة السياسية - قصة الدولة الدرزية ويعتبر وثيقة سياسية تكشف المخطط الاسرائيلي لتقسيم سورية ولبنان معززة بالوثائق والاسماء -) .

ولكنه شاعر هو ٠٠ لم تبعده الصحافة ولا السياسة عن موهبته الشعرية فكان له ديوان (نهر الأحزان) الذي صدر عام ١٩٩٢ في بيروت عن شركة النور ٠ ويقع الكتاب في ١١٢ صفحة من القطع الكبير والأنيق ، وعلى ورق فاخر سجل مقطوعاته الشعرية والتي تشكل في مجموعها نهر الأحزان الذي ينساب في دخيلة نفسه أنغاما شجية ٠٠

شاعر متحذلق يأتينا بالبيان ، ليقرر شيئا ، أو ليعلن شيئا ، ثم لايلبث أن يشعرنا بالعجز والقهر ، لأن بيانه لم يصل به الى المستوى اللائق بأحلامه وآماله ، اراد أن يكتب عن الوطن فلم تسعفه الكلمات ، يقول :

" أستل الورق ، ولكني لا أكتب شيئا عن الوطن
أكتب كلمات عاجزة ،
أكتب أشعارا تافهة لا ترضي غير المقتولين
أحاذر حيث نطقت تذكر أسماء السفاحين "٠٠

ولكن إلى أين أوصله الحذر ، حذر من كل شيء ، والحذر دائما يوحي إلينا بالابتعاد والاختباء ، ومن ثم يبعدنا الى حيث نضوب الحياة ، وهكذا كان حال هذا الشاعر :

" ماعندي حب كي أكتب شعرا للحب
ثقبوا لي قلبي بالمنشار ٠٠ فمات القلب
أحزاني تملأ قنديلي
والزيت الناضب مثل النار
بباب الجرح يسد الدرب "

شاعرنا هذا اغتسل بأحزانه كثيرا ، وإذا ما قلنا له من اين لك بكل هذه الاحزان : أجابنا عن مصدرها ويبرز لنا هويته الوطنية يقول :

" أنا صاحب القلب الذي يغتاله حب الوطن
أنا صاحب الأحلام تحمله الرياح
الى الشواطىء مثقلا بالخوف
والحزن المرير على الوطن ٠٠

إذن ، فقد عرفنا مصدر حزنه ، انه حب الوطن والخوف عليه ٠٠

والحزن ٠٠ شارة العصر المهزوم ، يفتقد فيه المرح ، والحب ، والصدق ، ويطل فيه القهر الممزوج باليأس المختبيء في صناديق الكذب والخداع وتزييف الحقائق ، حتى مل الناس كل شيء ، حتى الشعر : يقول :

" لا أحد يقرأ أشعاري
كذب في كذب ٠٠
عصر الكلمات تقيأ كل حروف العصر
وهزيمة أمتنا لبست بالزور الكاذب ثوب النصر"

أحزين انت أيها الشاعر لأن الناس لا تقرأ اشعارك ؟ أم أنك أردت تعميم ظاهرة الجهل الثقافي وملل الناس القراءة ، بعدما خدعتهم الشعارات المزيفة ، والكلمات الجوفاء ، ورنين الحروف بلا معنى ولا التزام ٠٠

إذن ٠٠ لماذا تكتب ٠٠ ولمن تكتب ؟ ايها الشاعر٠٠!! ولكن لا تيأس ٠٠ فطالما هناك قارىء واحد فلا تفقد الأمل ، وها أنا الآن أقلب بين يدي كتابك " نهر الأحزان " بشغف واعجاب وأنا متأكدة أن الكثير من الناس قد قراوا أشعارك وأحبوها وأحسوا بها لأنها صادرة من عمق وجدانك المتألم على مالاقيت من أهوال العصر الظالم ٠٠ وأنت الذي طعنت كغيرك من أبناء أمتك في كل ما حملته من قيم وأحلام ومبادىء ، ومثل حيث قلت:

" أهرب من زمني ٠٠ من ظلي
من طعنة رمح
أشعر أني مقطوف من شجر الملح
مصلوب في الغابة من أمس

ظمآن وفي جوفي بئر
تغمرني أمواج الحزن في بحر الجرح .. "

ولكن .. رغم كل شيء .. فالشجاع لا يفقد الشجاعة حتى في لحظات الموت ، وشاعرنا واحد من هؤلاء الشجعان ، اعتاد الأحزان التي عششت في قلبه ، حتى صار ندا لها يخاطب ملكها وكأنه صديق حميم :

" يا ملك الحزن ..
ها جئت إليك
ألبس اثوابي مطوية
أختبيء بعروة أكفاني ..

الحزن يغور في القلب المقهور فيترك جرحا، يندمل بعد حين ، ولكن ما يفعل المرء إذا ثقب هذا القلب ؟ ترى من يرقع هذا الثقب يقول :

" ماعندي حب كي أكتب شعرا للحب
ثقبوا لي قلبي بالمنشار
فمات القلب ..
أحزاني تملأ قنديلي
والزيت الناضب مثل النار
بباب الجرح يسد الدرب .

ما هذا الهول الذي ينفجر كالبركان الملتهب الذي يميت القلب ويترك الفاجعة تعاني مر الفاجعة يقول :

" لم يبق من الحلم العربي
سوى السياف .. وهذا القبر ..

إذن هو " الوطن " سبب انكساره .. وفاجعته .. هو سبب آحلامه التي أصبحت حطاما منثورا .. فالأحداث التي عصفت بالوطن العربي منذ الأربعينات وحتى اليوم كفيلة بأن تحيل قلب الشاعر الى حجر .. فكيف إذا جرت الأحزان في دمه وقلبه وحياته نهرا .. يبتدأ تدفقه بالموت .. ويصب في بحر الموت ..

محمد خالد قطمة

نهر الأحزان



من الصفر يبدأ .. وعند الصفر ينتهي ولكن ما بين البداية والنهاية مسافات .. وانحدارات .. والتواءات .. فتجري الحياة نفسها في بحر أحزانها ، لتشكل نهر الحياة العظيم بروافده الكثيرة المتشابهة أحيانا ، والمتناقضة أحيانا أخرى ، حتى يتحول النهر الى حجر .. أو يصبح للحجر شكل القلب النابض بالحب والحنين يحفر اسماء أحبائه على حوافيه وفي أعماقه :

يقول مخاطبا حبيبته :

" الحب حبيبة أيامي
لا يعرف أمسا كالانهار
لو تسأل بردى لن يذكر
من مر به من الخلفاء
لكني نهر من حجر
لا ينسى اسمك في دمه
يتذكر كل لياليه
فيغص وتختنق الأشياء ..

الشاعر محمد خالد قطمة ، مرهف الشعور ، رقيق العاطفة ، يتمكله الحزن كعصفور صغير ترف جناحاه للمسة حنان : يقول :

" يملكني الحزن الساكن في صدرك
عصفور حنان
فأسافر مذبوحا لهفا ..
مختبئا بحقيبة أحزان
راهنت على نسيان الشوق
خسرت أمامك كل رهان

ولكني أؤكد أن الخسارة أمام الاشواق هي الربح الأكثر في عالم الانسانية ، ان انهزام الانسان أمام انسانيته دليل على استمرار نسغ الحياة والفضيلة فيه ، ويقول قائل ماذا لو كسبت العالم وخسرت نفسك .. وكأن الشاعر يقول : ماذا لو جنيت كل شيء وخسرت الحب ، فالحب لديه التعبير الأمثل على رقة الشعور ورهافة الحس ونبل الانسان والشيء الأكثر انسانية هو انهزام الرجل القوي بكلمة طيبة أو نظرة حنان من امرأة يحبها ، امرأته هو ، صاغها بيديه وأحلامه ، وأرادها شذية عطرة كالزنبق ، ندية كالفجر ، نضرة كغصن لوز أخضر يقول :

وأورق فمها من فل الأرض
ولصوتك عندي رائحة الزنبق
تحلو همستك مع الفجر
قولي أحببتك ثانية ..
إني أعشق --

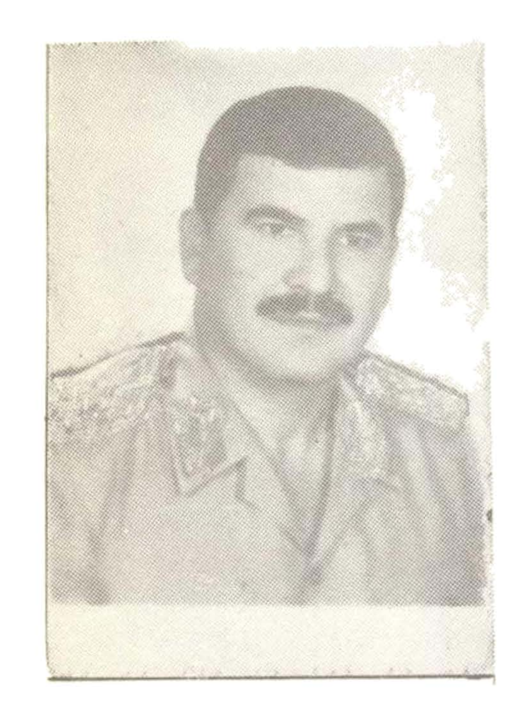
بعد هذه الجولة السريعة في ديوان " نهر الأحزان " للشاعر محمد خالد قطمة .. لا يسعني إلا أن أقول : توقف يا نهر الاحزان ، توقف هنا فقد دخل محمد خالد قطمة حرم " الثقافة " وأصبح من أسرتها ، فلم يعد لك مكان .

وداد قباني



عطر من "بيادر عطر"

شعر: عبد المجيد عرفة



بيادر العطر فاحت نسمة وسبا   فهيجت في فؤادي الحب والأدبا

فراح ينهل من أطيابها قلمي   لينشر المسك فيما خط أو كتبا

يلملم العطر من روض يجود به   سِفْر كمثل فرات الغيث ما نضبا

تلك المعاني وفي طياتها درر   تفتق الزهر عنها هائما طربا

ليرفد الحرف مزهوا بفتنته   والله ، للحسن ذاك العطر قد وهبا

شممت في كل حرف ألف رائحة   كأن فيه نسيم الخلد قد سكبا

روض تغرد في أزهاره فبدا   وشيا على بردة قد رصعت ذهبا

وحار عاشقها في أمر فتنتها   هل يشرب الراح أم هل يقطف العنبا

أم ينظر الزهر والألوان تسكره   كأنه من عتيق الراح قد شربا

بيادر العطر إلهام ومعجزة   من شاعر خصه ربي بها وحبا

فما تكلف في يوم كتابتها   ولا تصنع فيما قال أو كذبا

لمست في كل حرف صدق عاطفة   وكل شطر بدا قد هزني طربا

وأسكرتني المعاني وانتشى قلمي   فراح يقطف من ديوانك الشهبا

يا شاعرا ركب الماضي وسار به   حتى تجاوز في عليائه الحقبا

حدثت ما أنكر الجافي حداثته   فعاد بالخزي إذ أبدعت واحتجبا

فللأصالة في مغناك بارقة   أعمت عيون الألى قد أنكروا النسبا

دراسات في الشعر الحر أو شعر التفعيلة

دراسة وعرض:
د. محمد صلاح الدين بن موسى
أستاذ في جامعة الفاتح بطرابلس - ليبيا

إن أول محاولة بدائية في الشعر الحر ٠ هي ما نظمه الشاعر المهجري نسيب عريضه في ديوانه " ارواح متمردة " عام ١٩٢٢ (١)

أما صاحب المحاولة الثانية البدائية ايضا فهو الشاعر المصري خليل شيبوب في قصيدته "الحديقة الميتة والقصر البالي" (٢) ومنها :

أمر عليها كل يوم فابصر
أشجارها مهشومة الأغصان
ويأخذني حزنا عليها فأشعر
باليأس بعقل ناظري ولساني

إن المحاولة الجدية في الشعر الحر للشاعر بدر شاكر السياب وذلك باكتشافه قدرة البحر الكامل الهائلةِ على ملائمة التحرر وذلك في قصيدته "السوق القديم سنة ١٩٤٨م أو في غيره من البحور لاسيما البسيط في قصيدته "حفار القبور" التي قالها بعد سنوات ٠

يا رب ما دام الفناء
هو غاية الأحياء فامر يهلكوا هذا المساء
ساموت من ظمأ وجوع
إن لم يمت بعض الأنام

إذا فالشعر الحر لون قريب الميلاد في أدبنا الحديث لا يتجاوز عمره الأربعين عاما بدأ مع شعراء الشباب في العراق مع بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وفي مصر مع صلاح عبد الصبور وعبد المعطي حجازي وفي لبنان ألبير أديب وفي ليبيا محمد الفيتوري ٠٠ وكثيرون غيرهم ممن بدأوا هذه التجربة الجديدة في الشعر العربي من الشعراء المعاصرين ٠

والشعر الحر تسمية شاعت على كثير من أقلام الكتاب والادباء ولعل كلمة شعر التفعيلة أنسب تسمية لهذا النوع من الشعر الجديد وان سماه بعضهم الشعر الحديث - ولكن رجال تاريخ

الأدب اصطلحوا على تسمية شعر النهضة بالشعر الحديث بدءا من سامي البارودي وحتى شعراء التجارب الشعرية الجديدة -

فلنعد اذا للاسم الأول "الشعر الحر" ولنقف عند هذه التجربة التي يخوضها شعراؤنا الشباب بعد أن مهد لهم طريقها الرواد الأوائل من شعراء العراق والشام ومصر ·

هذه التجربة في رأيي يجب ان تدرس من حيث الشكل والمضمون وكل من الشكل والمضمون له جذور في تراثنا العربي يستمد نسقه منها وأصول في لغتنا وشعرنا يستقي منها ولنبدأ نظرتنا الى الشعر الحر بالشكل ثم نتحدث عن المضمون ·

يكاد كل شاعر أو كاتب أصيل يبدع بشكل التعبير الذي يلائم فنه ويرضي موهبته ، ولكن شعر التفعيلة يتميز من حيث الشكل بسمات بارزة أهمها الموسيقا الخارجية أو الأوزان الجديدة التي اتخذها لنفسه ·

لنأخذ التفعيلة ونجعلها ركيزة للشعر، ركيزة القصيدة العربية الحديثة ، هذه التفعيلة تقوم مقام الشطر لا أكثر ولا اقل وتبقى موسيقا البحر ويبقى الوزن كما هو ، تبقى النغمة العربية لا تتحطم ولا تزول ، كل ماهنالك أن هذه النغمة التي كانت تعزف على آلة واحدة قد أصبحت تحاول أن تعزف على مجموعة آلات · أصبحت موزعة على مايشبه "الجوقة الكاملة" إن صح التعبير ·

لنستمع إلى هذا المقطع الجميل للشاعرة العربية سلمى الخضراء الجيوسي من قصيدة لها بعنوان "جامع قرطبة" :

سألوذ بالمحراب ، اشرب روعة الفن الفريد
وأستعيد
ذكراه ، ذكرى "الصقر" ، ذكرى "الداخل" (٣)
البطل العنيد
الفاتح البناء
وبناء جبارا على الأيام لا يخشى الفناء
ويعيش يحضنه الخلود
في كل مضرب أنمل فن عريق يعربي
في كل موقع ناضر روح رفيق عبقري
والعطر ينبع من ثراه
والسحر ينضح من ذراه
وقداسة الماضي وروعته تفاجيء من يراه
إني اراه ، ولا أعي شيئا سواه ·

المقطع كما يدرك القارىء هو من البحر الكامل - لم يشذ عن نغمة هذا البحر المعروفة أبدا ولكن الشاعرة تحررت من الرتابة من الأشطر المتساوية والروى الواحد وراحت الفكرة تتموج بين تفعيلات تكثر وتقل في كل سطر بحسب الاحساس الذي ارادت الشاعرة التعبير عنه

إن عملية الموسيقا الجديدة في الشعر الحر تشبه إلى حد بعيد عملية توزيع اللحن على آلات متعددة وعلى أصوات متعددة، هذا التوزيع الدقيق الذي ينتهي بالانسجام والتناغم المطلق هو ما تحرص عليه القصيدة الحرة الناضجة ونسميه الموسيقا الداخلية · إنها تظل مربوطة بخيط خفي ناعم لا يحسه إلا من ملك الأذن الموسيقية المرهفة والشعور الرقيق والاحساس العميق المتذوق·

لموسيقا الشعر قديمه وحديثه على السواء ولقد اساء إلى هذه الموسيقا معظم شعرائنا الشباب الذين اتخذوا من (التفعيلة) أساسا لنتاجهم الشعري وضربوا بالموسيقى عرض الحائط وراحوا يكتبون كلمات مبعثرة هنا وهناك ربما كانت فيها صورة وفكرة وإيحاء ولكنها ليست من الشعر الحر ولا الشعر القديم ، إنها فوضى تسيء إلى التجربة الجديدة التي حضنها ورعاها الرواد الأوائل ، وقليلون جدا أولئك الذين استطاعوا أن يضبطوا موسيقا "التفعيلة" موسيقى هذا الشعر

الحر الجديد ويقدموا صورة مشرقة عن هذه التجربة التي مازالت تشق طريقها في غمار لضوضاء بين سخط الساخطين وتأييد المؤيدين بين جيل حمل راية الشعر العربي الأصيل وبين جيل من الشباب تبنى هذه التجربة بكل عنف وقوة وعناد (٤)

يقول بعض النقاد: لم تكن طريقة الشعر الحر مقصودة بذاتها أنها وسيلة لإنقاذ الشعر العربي من غنائيته المتمثلة في موسيقية القافيه الرتيبة تلك القافية التي أفقرت الشعر العربي من اي أثر للقصة والملحمة والدراما(٥)

ولا شك أن هناك فرقا عظيما بين تفكيك القصيدة وهو ماذهب إليه رواد الشعر المرسل الخالي من كل وزن وقافية - وبين طريقة الشعر الحر الجديدة ذات البناء الفني المتماسك وذات الموسيقا الداخلية والوزن الإيقاعي الجميل (٥) .

ويرى محمد الجبار : أنه أي الشعر الحر- تحرير القصيدة العربية من القافية الرتيبة من الروى العتيق المحدودب ، لقد عاش الشعر العربي فترة طويلة داخل بعض الكلمات وكان الشاعر العملاق يسير في دروب الألفاظ الهامسة والشامخة ولكنه يضطر إلى خفض رأسه ليسير أطول مدة ممكنة في طريق طويل سقفه محدود ، أقول بأعلى صوتي لكل ناقد ، إن الشعر الجديد نزهة سهلة على شاطىء أخضر ، أبدا أبدا يا صديقي الناقد ، إنه وحق الواقع نزهة جليلة لا يقدر عليها إلا حرفاء القلم ومستكشفوا الغابات المجهولة في النفس الإنسانية ان أي عمل تجريبي الذي يتحكم بالشاعر أثناء كتابته يعتبر قافية جديدة ، إنه انطلاق وشمول وبساطة (٦) .

ويرى بعض الأدباء ، أن الشعر الحر أستقى جذوره من الشعر الأوربي الحديث ويكادون يجزمون أن شعراءنا المجيدين قد استقوها من شعراء الغرب إثر اطلاعهم على نتاج الشاعرين الكبيرين (إيلوت) و (باوند) وأضرابهم من الشعراء الأفذاذ الذين تركوا بصمات أصابعهم على النتاج الشعري في أوربا كلها (٧) ولا شك أن تاثر شعرائنا الجدد بالشعر الغربي شيء طبيعي، شيء لا بد منه في كل حركة أدبية ، ولكن الشعر الغربي ليس هو المصدر الوحيد .

إن لتاريخنا العربي - ينابيع لا تنضب، نهل منها شعراؤنا الجدد وعرفوا كيف يستقون منها وكيف يستفيدون .

ولعل الينبوع الأول ، المنبع الخالد الذي يهدر بألف لون ولون من النغم الرائع والحي المتجدد على كر العصور ، القرآن الكريم هذا الكتاب المعجز من سحر فصحاء العرب ووقفوا أمامه عاجزين حتى عن الاتيان بسورة واحدة من سوره الكريمة .

لنقرأ معا قوله تعالى :

" إن جهنم كانت مرصادا
للطاغين مآبا
لابثين فيها أحقابا
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا
إلا حميما وغساقا
جزاء وفاقا
إنهم كانوا لا يرجون حسابا
وكذبوا بآياتنا كذابا
وكل شيء أحصيناه كتابا
فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا
إن للمتقين مفازا (٨)

أتظننا بحاجة إلى موسيقا غربية بعد هذا السحر الحلال ؟

أجدرنا أن نتلذذ على بيان السماء قبل أن نمد أبصارنا إلى أي ينبوع آخر ..

ولعل الموشحات العربية هي المصدر الثاني الذي استقى منه شعراؤنا المحدثون موسيقا

لتفعيلة في شعرهم ..

لنقرأ معا هذا المقطع الصغير من موشح أندلسي :

كللي
يا سحب تيجان الربا
بالحلي
واجعلي
سوارها منعطفا

ولنستمع إلى هذا المقطع من موشح أندلسي آخر :

ما للموله
من سكره لا يفيق
ياله سكران
من غير خمر
ما للكئيب المشوق
يندب الأوطان .

ارايت كيف يلعب الشاعر بأوتار النغمة فيحركها ويلونها كما يشاء ولكنها تظل مشدودة بخيط ناعم هو ما نسميه (الهارموني) في علم الموسيقا .

إن الاحتفاظ بهذا الخيط الناعم الدقيق دون أن ينقطع أو يختل هو سر شعر التفعيلة ، الذي لم تقبض عليه إلا أيد قليلة ، أما الكثرة من أتباعه من الأيدي التي تمتد إلى التجديد الحق فإنها لا تريد أن تحمل نفسها عناء الحفظ والسهر لطويل مع آثارنا العربية الرائعة .

إن ما يسمى بالمقطع الكامل من الشعر الحر يقوم مقام البيت المحدد في القصيدة القديمة وهو يقوم بهذا الدور في الشكل والمضمون على السواء .

لنستمع إلى هذا المقطع للشاعرة فدوى طوقان :

كلما صوتك نادى من بعيد
دافىء الغنة متقدم الصدى
فتح الفردوس لي محرابه
والأماني فرشت لي مرقدا
من عبير وندا
لي فجر هل رطبا مسعدا
ناعم الأنفاس مقتسر الضياء
لفنا حلما على مهد لقاء
واحتوانا فيه دفئا وندى .

يلاحظ القارىء أن "المقطع" هو من بحر الرمل هذا البحر الموسيقي العذب لكننا نظلمه إذا قسمناه الى أشطر وأبيات ووقفنا عند كل بيت منفردا .

إنه مقطع واحد ، جملة موسيقية تبدأ قراءتها ثم نحس أننا لا نستطيع أن نقف إلا على نهايتها ومثل هذا كثير في الشعر الحر والشعر الحر يلون القافية وينوعها ولكنه لا يستغنى عنها وانه في هذا لشديد الشبه بالموشحات الأندلسية التي لونت قوافيها ماشاءت ولكنها لم تتخل عنها.

ولا شك ان القافية خيط من الخيوط الموسيقية الحلوة التي تشدنا إلى القصيدة ولا يجوز الاستغناء عنها إلا إذا خرجنا من عالم الشعر إلى عالم النثر بل ربما يفقد النص عندها خصائص النثر نفسه ونصل الى ما نسميه بعض المهووسين بالشعر المنثور والشعر بريء منه كما أن النثر لا يمت إليه بصلة من قريب أو بعيد وما أجمل قول أستاذنا الشاعر الدكتور وجيه البارودي فيه :

قلت شعر قلت نثر
قلت حاشا ثم حاشا

ولا ريب أن القافية الملونة المنوعة تشد النص كله بذلك الخيط الناعم الدقيق (١٠) .

استمع إلى رائد الشعر الحر بدر شاكر السياب في قصيدته "المغرب العربي" :

وكما يطوف من بدي
مع المد
هتاف يملأ الشطآن : يا وديانا ثوري
ويا هذا الدم الباقي علم الأجيال
أيا إرث الجماهير
تنشّط الآن واسحق هذه الأغلاق
وكالزلزال
تحدّ النير ، أو فاسحقه واسحقنا مع النير(١١)

هذا المقطع الرائع من مجزوء الوافر وهذه النغمة التي تموجت من خلال السطور كانت مرة ضربة واحدة :

مع المد :مفاعيلن
ومرة ضربتين :
أهذا لون ماضينا : مفاعيلن مفاعيلن
ومرة ضربات متعددة
أذاك الصاخب المكتظ بالرايات وادينا
مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن
...

ولم يهمل الشاعر السياب القافية بل لونها أيضا وجعل بعضها يرتبط ببعض خلال النص ، أشبه ما تكون بضربات الموسيقى التي تأبى أن تكون رتيبة ، ولكنها على ابتعادها ، بعضها عن بعض تظل مشدودة بخيط واحد : ثوري ، الأجيال بالجماهير ، الأغلال ، وادينا ، أماضينا .

يلاحظ القارىء كيف اكتفى بكلمة واحدة في البيت حين أراد أن يشحن كل طاقات الفكرة التي يريدها في تفعيلة واحدة انها كلمة (وكالزلزال) اننا نكاد نحس زلزال الثورة مركزا في هذه اللفظة العنيفة ، تقف وحدها كقصفة رعد لتحمل كل ما أحسه الشاعر من عنف في هذه اللحظة)(١٢) .

ولعل أبرز السمات التي تميز الشعر الحر هي الرؤية الجديدة للعالم وللأشياء وهذه الرؤية التي تمتد في الاشياء وتتغلغل في الأعماق ثم تعود وعلى أجنحتها صور وظلال وإيحاءات لم تعرفها الرؤية القديمة التي تعودت أن تقف عند ظواهر الأشياء وقلما اخترقت هذه الظواهر وقدمت شيئا غير مألوف الا ما جاء عرضا في شعر ابن الرومي والشريف الرضي من شعراء الدولة العباسية ابن زيدون وابن خفاجة من شعراء الأندلس .

لنقرأ هذين البتين من مطلع قصيدة السياب (أنشودة المطر) :

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر

ألا تلاحظ أن السياب يتغزل بعينين سوداوين فإذا هو يتذكر غابتين من النخيل توشحهما الظلال الكثيفة ساعة السحر فتبدوان في خضرتهما المتشحة بالظلال أشبه بالأسوار التي توحي باللون الأسود إيحاء ولا تشير إليه مباشرة، هاتان الغابتان الغارقتان بالظلال المتلثتان بالأسرار هما عينا الحبيبة في نظر الشاعر ، ثم انه لايكتفي بهذه الصورة الفنية الموحية فيضيف إليها صورة أعمق وأجد حين يشبه العينين بشرفتين راح القمر يبتعد عنها رويدا رويدا وأخذت الظلال تلفهما بالروعة والجمال والأسرار، إننا لسنا أمام عينين جميلتين فحسب ، لقد أصبحنا أمام لوحتين غنيتين من لوحات رسام مبدع لا يكاد أيحاؤها ينضب أو ينتهي عند حد(١٣) .

ولنستمع إلى السياب أيضا :

في كل قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنة الزهر
وكل دمعة من الجياع والعراة
وكل قطرة تراق من دم العبيد
فهي ابتسام في انتظار مبتسم جديد
أو حلمة توردت على فم الوليد
في عالم الغد الفتي واهب الحياة

مطر
مطر
مطر
سيعشب الأرض بالمطر

إن المطر يهطل دفقة إثر دفقة والرحى تدور في استخراج الغلال ولكنها تمزجها بقطرات الدم ، دم العبيد العاملين لإشباع الغربان والجراد الا أن دفقات الأمطار والدماء لابد أن تذاح كراتها وقطراتها عن عالم فتي جديد فيه الحقيقة الغابرة ، فيه البسمة والنور (١٤) ٠

اذا هذه هي الرؤية الجديدة للشعر الحر، تبحث عن الصور الجديدة من أعماق الفكرة بعيدة عن السطح تصقله وتجلوه - كما يقول أستاذنا سليمان العيسى ، ومن خلال الرؤية الجديدة في شعر التفعيلة تبدو لنا خاصة الرمز والايحاء فقد أصبحت الألفاظ في الشعر الحر توحي بمعان كثيرة تفجر طاقات تجر وراءها ظلالا وألوانا تحمل أكثر من دلالة وأكثر من تفسير لقد أصبحت اللفظة رمزا لأشياء متعددة، مفتاحا لبحر كامل يزخر بالدلالات والأفكار ٠

لنستمع إلى سميح قاسم في قصيدته (ليلى العدنية)

شاءها الله شهيه
شاءها الله فكانت كبلادي العربيه
شعرها ٠٠ ليلة صيف بين كثبان تهامه
مقلتاها ٠٠ من مهاة يمنيه
فمها ٠٠ من رطب الواحة في البيد القصيه
عنقها ٠٠ زريعة بين رمالي الذهبية
صدرها نجد السلامه
يحمل البشرى الى نوح
فعودي يا حمامه
ولدى خاصرتها ٠٠ بعض شطآني القصيه
شاءها الله ٠٠ فكانت كبلادي العربيه
نكهة الغوطة والموصل فيها
ومن الأوراس عنف ودسامه
شاءها اسما وشكلا (١٥)

ألا ترى معي أيها القارىء كيف يزخر هذا الجزء من القصيدة بالرموز والألفاظ الموحية شعرها ليلة صيف ، من مهاة يمنية ٠٠ من رطب الواحه ٠٠ من رمال ذهبيه ٠٠ بعض شطآني القصيه ٠٠ نكهة الغوطة ٠٠

كلها رموز لتصور الفتاة العربية الأصيلة ، رموز للفتاة العربية ذات الملامح الواحدة والسمات المشتركة لدى فتيات العروبة ، في الاسم والشكل

وهكذا نستطيع أن نقول : ان الرمز لدى شعراء الشعر الحر يفجر طاقات في الكلمات لا تعرفها اللغة المباشرة في الشعر غير أن الشعراء يتفاوتون في حظهم من الاجادة في استخدام هذه الوسيلة الجديدة وربما عبث بعضهم وضاع في فراغ مظلم لا جدوى منه ولا هدف له (١٦) ٠

وقد لاحظ النقاد في الشعر الحر ظاهرة كثيرا ما اعتبرها هؤلاء عيبا فيه ، تلك هي ظاهرة الغموض والمفاجآت التي يدور فيها شعراء هذا النوع من الشعر مما دفع كثيرا من القراء الى الاحجام عن قراءة هذا الشعر ونعتوه بالتقصير والتخلف والعجز ٠

يرى سليمان العيسى : أن الغموض ليس عيبا في الشعر بل هو الذي يعطيه قوته وقدرته على البقاء، إذا كان الغموض رحيلا نحو الأعماق وغوصا على الأفكار والصور وتغلغلا في المجهول لاصطياد الجديد غير المألوف وارتياد الآفاق التي لم يعرفها الخيال من قبل ٠

ويضيف الاستاذ الشاعر سليمان العيسى: إن الغموض يصبح من عيوب القصيدة قديمة كانت أو حديثة إذا كان تعقيدا لا طائل وراءه واغرابا لاجل الاغراب ، إنه أشبه عندئذ بالغمام الذي يبرق ويرعد ولكنه لا يحمل قطرة من المطر ٠

ويورد الأستاذ العيسى مثالا من الشعر الحر من ديوان السياب يؤيد فيه رأيه .. وقد اختار السياب لأنه كان يتعمد الغموض في كثير من قصائده ليأتي بشيء جديد - والنص هو قطعة من قصيدة " مدينة بلا مطر "

مدينتنا تؤرق ليلها نار بلا لهب
تحسم دروبها والدور ثم تزول حماها
ويصبغها الغروب بكل ما حملته من سحب
فتوشك أن تطير بشرارة ويهب موتاها (١٧)

ولعل خير ما أنهي به هذا البحث - وهو كما يبدو ذو شجون وشجون أن أورد نبذا قصيرة من أقوال بعض رواد الشعر الحر في هذا الشعر نفسه ، " وأدع للقراء أن يحكموا بأنفسهم على هذه التجربة الجديدة في الشعر العربي .

فتقول نازك الملائكة : " كل ماهنالك أنه أي الشعر الحر أسلوب جديد يتيح للشاعر تعبيريه أعلى يمنحه الفرصة لإطالة العبارة وتقصيرها بحسب مقتضى المعنى .

والقاعدة العامة في الشعر الحر أنه يقطع على اسطر بحسب وزنه كلما انتقل من شطر بدء بسطر جديد وهذا كفيل بأن يساعد القارىء على فهم مايريده الشاعر وعلى تعبيره عن النثر حق تمييز (١٨) .

ويقول الشاعر بدر شاكر السياب : "وأنا في شعري هذا - لم أتجاوز تقاليد الشعر العربي لقد ظللت وفيا للتراث ، ولم أكتب قصيدة النثر ولم أستعمل العامية ولم أتجاوز الأسس المتعارف عليها في العروض العربي الا في أقل القضايا أهمية مثل عدد التفاصيل ، وفي التحرر من القافية الرتيبة " (١٩)

ويقول محمد الفيتوري :

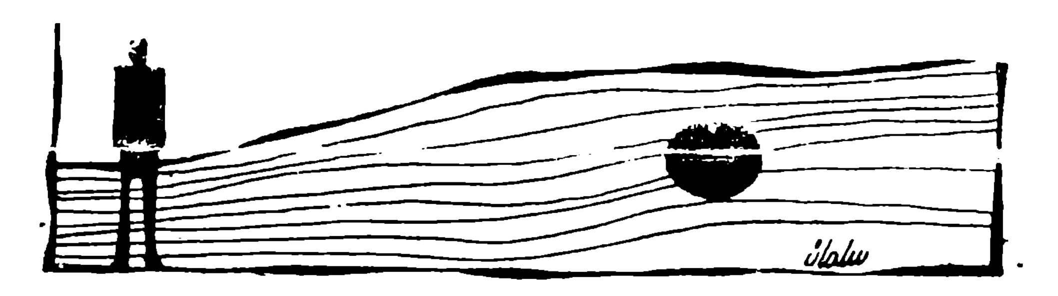
هي رحلة شعرية من طراز فريد وأصبحت قدرة الشاعر على التجسيد والتصوير وإبراز القسمات ذات طابع متكامل الى حد لا يقف عند حدود الجزء بل يمتد فيشمل القصيدة كلها ، ولقد تطورت إرادة الشاعر التعبيرية مع تطور وعيه وتكامل حسه بالواقع (٢٠) .

وأخيرا لنستمع إلى قول الشاعر نزار قباني :

على أنه إذا استحال الاستغناء عن القافية فلا يستحيل ترويضها وجعلها أكثر مرونة واستجابة لأفكارنا ، فاستعمال القوافي المتعددة في القصيدة الواحدة على طريقة الموشحات أو قصل الأبيات المنتهية بقواف معينة بأبيات أخرى تنتهي بقواف مختلفة عن الأولى أما أوزانه فهي طريفة وملونة وذات هدير متعدد الجوانب ولا نراه في الشعر الغربي الذي يعتمد على الوحدة الصوتية المعادة بالاضافة الى أن استعمال مجزوء البحور والتصرف بتفاعيلها زيادة أو نقصانا يرفدنا بثروة جديدة من الأنغام ان مشكلة الشعر العربي ليست مشكلة أشكال وأوزان وإنما هي مشكلة أو وجدان فني يهيب بنا أن نتدفق من داخلنا ونسفح زيت ذاتنا (٢١) .

هوامش :

(١) طبع عام ١٩٥٢ دار النهضة العربية
(٢) مجلة الرسالة المصرية عام ١٩٤٥م العدد ٥٤٥ صفحة ٩٧٨
(٣) اشارة الى عبد الرحمن الاموي مؤسس الدولة الأموية في الاندلس
(٤) من مقال للشاعر سليمان العيسى في كتاب التراجم والنقد
(٥) من مقال للدكتور مصطفى حسين عن الشعر الحر
(٦) انظر مقدمة ديوانه سبحات (١-٦)
(٧) انظر كتاب بدر شاكر السياب احسان عباس - دار الثقافة
(٨) سورة النبأ
(٩) الموشحات - د. محمد زكريا عناني
(١٠) من مقال للاستاذ الشاعر سليمان العيسى - التراجم والنقد ٨٠-٨١



غلب القمر

شعر : وليد مكتبي

نبلت كل ورودي في متاهات العمر
وغدوت الآن وحدي احتسي مر الخطر
غاب عن افقي القمر
كنت بالأمس اغني بين ازهار الربيع
ارسل البسمات شدوا ياحبيبي للجميع
مثل غيث ومطر
كانت الاحلام عندي همسة للعاشقين
وغدا طيفك وهما فبدا قلبي حزين
هده نعب القدر
وعلى الخد دموع في عيوني تنتحر
مزق الغدر فؤادي وعلى الحب انتصر
فوق اشلائي عبر
ردد الليل صدايا وانيني وبكايا
اين احلامي تراها حنها صرت شظايا
في مسلحات العمر
ليتني كنت سرابا او خيالا او ترابا
ليتني ما عشت حتى لا ارى عمري يبابا
وحياتي تندثر

---

(١١) ديوان بدر شاكر السياب دار الثقافة
(١٢) من مقال الشاعر سليمان العيسى (الشعر الحر) كتاب التراجم والنقد
(١٣) انظر مقال الشعر الحر لسليمان العيسى التراجم والنقد ٢٣٦
(١٤) بدر شاكر السياب د٠ احسان عباس ٢١٠
(١٥) ديوان الارض المحتلة ٢٠١
(١٦) سليمان العيسى التراجم والنقد ٢٤٣
(١٧) من مقال الشعر الحر - التراجم والنقد ٢٤٠
(١٨) من مقال لنازك الملائكة (الشعر الحر بين معارضيه - الآداب ١٩٥٠م
(١٩) مقدمة ديوان بدر شاكر السياب صفحة (٢٣×٢٠) مقدمة ديوان الفيتوري صفحة ٤ ومن مقال لمحمود سليمان نشر في مجلة الآداب ١٩٥٢ مجلة الآداب ١٩٦٢

المصادر والمراجع :

١- التراجم والنقد - مقال للشاعر سليمان العيسى ٠
٢- الشعر المعاصر على ضوء الحديث مصطفى السحرتي
٣- مجددون ومجترون مارون عبود ٤ نزعات
٤- التجديد في الادب العربي - انور الجندي
٥- قضايا الشعر المعاصر أحمد زكي ابو شادي
٦- موسيقى الشعر (ابراهيم انيس)
٧- اجل نحن شعراء : سمير معوض
٨- دراسات في الشعر العربي المعاصر شوقي ضيف ٩ قصة الشعر الجددي (محمد النويهي)
٩- قضايا الشعر المعاصر (نازك الملائكة)
١٠- مقدمات دولين صلاح عبد الصبور - عبد المعطي حجازي - محمد الفيتوري
١١- مجلتا الاديب والاداب - ١٩٥٢-١٩٦٢م

د٠ محمد صلاح الدين موسى

كلمات آخر المهزومين

شعر: محمد خالد قطمة

من يكتب شعرا سوف يموت
من يكتب نثرا سوف يموت
فالقتل قرار أعرابي ضد النثر
وضد الشعر

أعطني يدك فقد قطعوا رسغي بالقهر
في عصر الزانية الكبرى تركبنا الخيل
ويل للفارس كيف يدوس عليه المهر
ويظل العاهر يصرخ مثل الضفدع :
صرت الماء وصرت النهر

-٢-

ما عندي شعر أكتبه في هذا اليوم
حف الشريان فلا ماء فيه ولا دم
أنا آخر من بقيَ ذبيحا من أهل الشعر

المهزومين

مكسور كالجسر المحني كظهر الناس
المحرومين

-٣-

أستل الورق ولكني لا أكتب شيئا للوطن
أكتب كلمات عاجزة
أكتب أشعارا تافهة لا ترضي غير المقتولين
وأحاذر حيث نطقت تذكر اسم السفاحين

-٤-

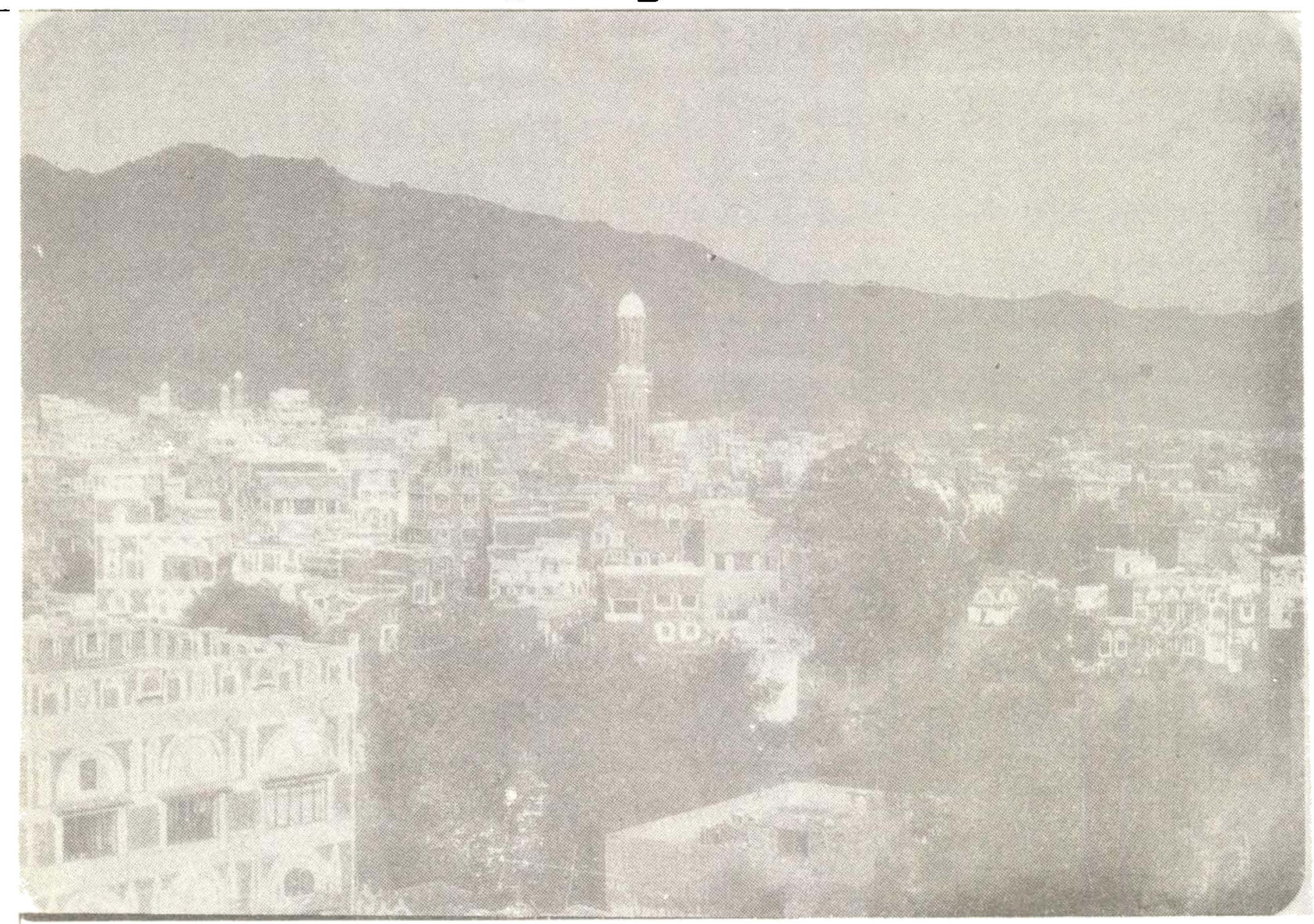
ما عندي حب كي أكتب شعرا للحب
ثقبوا لي قلبي بالمنشار فمات القلب
أحزاني تملأ قنديلي
والزيت الناضب مثل النار
بباب الجرح يسد الدرب ..

-٥-

لا أحد يقرأ أشعاري كذب في كذب
عصر الكلمات تقيأ كل حروف العصر
وهزيمة أمتنا لبست بالزور الكاذب
ثوب النصر
لولا إشراقة هذا الرمح القدساوي لتوجنا
رأس الأعراب بعاهرة نسميها طهر
لم يبق من الحلم العربي سوى السياف
وهذا القبر ...

مدينة صنعاء التاريخية عاصمة العربية السعيدة

د. محمد سعيد الحلبي



تاريخ اليمن السعيد حافل بتراثه الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي ونحن عندما نتحدث عن التاريخ اليمني لا يعني أن هذا الحديث يقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة .

تاريخ اليمن يعني الأصالة الحضارية في شتى مجالات الحياة حيث مهما مرت بالمجتمع اليمني من أحداث فهو صائغ مجد وحضارة وخلود .

عندما نتحدث عن صنعاء لايعني المدينة وحدها وإنما هو حديث عام يشمل التاريخ اليمني المتماسك من تاريخه وجغرافيته الطبيعية المترامية الأطراف ، وصنعاء هي القلب النابض في هذا الهيكل اليمني المليىء بعناصر القوة والحيوية .

وعندما نتحدث عن صنعاء نتحدث عن الانسان اليمني القادر على الابداع الذي صنع التاريخ وصنع الحضارة بعقله ، وسواعده ، وفنه، وعلمه ، ونضاله عبر التاريخ ، واصبح الانسان الحضاري الذي أعطى وطنه حبا وإبداعا فكريا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

لقد كتب العديد من المؤرخين والكتاب عن صنعاء وأفاضوا بالثناء على محاسنها وجمالها وبديع عمرانها وكثرة حدائقها وبساتينها ومساجدها واعتدال هوائها .

فمنهم من تحرى الحقيقة، فيما كتب فأجاد وأبدع ، ومنهم من بالغ وخلط بين الحقيقة والخيال والأساطير ، ومنهم من اكتفى بذكر القليل من جمالها ومحاسنها ولكنهم جميعا أتفقوا على أن مدينة صنعاء فريدة من طراز عمرانها وجمال مناظرها واعتدال هوائها ٠

وقد يطلق بعض الصفات على عدد من البلدان غير أننا لا نجد سوى ركن واحد في العالم أطلق عليه منذ القدم " البلاد السعيدة " انها بلاد اليمن أو " العربية السعيدة ". وفي الوقت الذي كان فيه الانسان القديم ، في مناطق مختلفة من العالم ، يعيش على القنص والصيد ، ويقطن خبايا الوديان أو كهوف الجبال ، ازدهرت الحضارة ونمت في بلاد اليمن حيث كانت تبنى السدود وتشق الترع وتزرع الأراضي ، وتنفتح آفاق المعرفة في مختلف مجالات العلوم والفنون والآداب ، وتترك لنا شواهد مادية ضاربة جذورها في أعماق التاريخ ٠

تتفاعل مع حقبه المختلفة ، تزداد غنى وتناسقا على مرّ الأزمان والعصور لتشكل تراثا حضاريا ذا صفات ومميزات فريدة قد لا تجد له مثيلا على وجه البسيطة في عصرنا الحاضر ٠

لعل أهم ما يتسم به التراث الحضاري في بلاد اليمن هو أنه لا يزال نابضا بالحياة ويتدفق حيوية كزمن تشكله منذ مئات السنين ، وان المدن اليمنية ، وخاصة مدينة صنعاء ، هي عالم عجيب من الممرات والحارات والساحات والشوارع، منازل وبيوت رائعة تتدرج في اللون البرونزي او الأخضر ، مزينة برسوم وزخارف خصبة بيضاء. تعانق السماء بأدوارها المتعددة التي قد تتجاوز الخمسة أو الستة أدوار وأحيانا الثمانية ، كما أن الأسواق تغص بالمارة والبضائع من مختلف الأنواع ويعلو ذلك عدد من المآذن المزخرفة الرفيعة كما تتخلله الواحات والبساتين الخضراء مشكلة نسيجا عمرانيا رائعا وتزداد الصورة روعة مع من يقطن طيات هذا العمران ، أناس يتمسكون بقيمهم الحضارية ، إيمانهم كجبالهم العالية ، والأعلى من جبال البلاد العربية كلها ، وكرمهم لطيف وعميق مثل سهولهم الرائعة الخضرة كما أن وفاءهم يبلغ من الاتساع والأصالة مايبلغه تاريخهم من القدم والعراقة ٠

تلك هي بلاد اليمن ٠٠ وتلك هي ٠٠ مدينة صنعاء ٠٠

دعوة لزيارة صنعاء للوقوف على معالمها التاريخية:

يقول الشاعر :

لابد من صنعا وإن طال السفر
وإن تحنى كل عود وانعقر

إن هذا البيت الذي تغنى به العديد من الشعراء والكتاب اليمنيين وغير اليمنيين يعتبر دعوة مستمرة على مدى الأزمان للسفر إلى هذه المدينة الرائعة الغنية بتراثها الحضاري والثقافي كما يحثنا هذا البيت لاكتشاف تلك المدينة الرابضة بكل فخر واعتزاز في أحضان الجبال ٠

إنها صنعاء عاصمة العربية السعيدة ؛ احدى أقدم مدن العالم حيث تروي الأساطير ففيها بنيت من قبل (حام) ابن سيدنا نوح عليه السلام ٠

كما تروي لنا كتب التاريخ بأنها كانت عاصمة لملوك سبأ ، كما اقام الحميريون حكمهم ووضعوا قوانينهم في تلك البقاع ٠

لقد احتل الأحباش مدينة صنعاء ، ثم حررها سيف بن ذي يزن ، بمساعدة الغساسنة كما كانت هذه المدينة في السنين الأولى للهجرة مركزا لإشعاع الدين الاسلامي الحنيف فقامت في تلك الفترة بدور هام في نشر تعاليم الاسلام ورسالة القرآن ولا يزال حتى الآن العديد من

المنشآت والأبنية التي تشهد على دلك ٠ ولعل أحد أسباب المحافظة على آثار تلك الحضارة الرائعة يعود للعزلة التي عاشت بها اليمن خلال حقبة طويلة من الزمن ، وكذلك موقعها الجغرافي في شبه الجزيرة العربية ٠

لقد شهدت طرق هذه المدينة مرور البضائع الثمينة الآتية من الهند والصين مقابل الذهب والفضة لبلاد البحر الأبيض المتوسط ٠

وتتميز صنعاء بمناخ يميل إلى الجفاف وهو معتدل ولطيف على الرغم من وجود فرق بين درجات الحرارة في الليل والنهار ، وقد تصل درجة الحرارة الى ٣٠ درجة وتغطي الأرض نباتات قليلة خلال موسم الجفاف غير أنه مع أول هطول لأمطار الربيع تكتسي السهول المنبسطة والمنحدرات الجبلية بغطاء نباتي نضر أخضر من الأعشاب والنباتات العطرية والأشجار المثمرة والتي تبقى حتى انقضاء الصيف ٠

إن زيارة مدينة صنعاء القديمة ضمن السور المحيط بها يترك في النفس اثرا خالدا وانطباعا لا ينسى ، وان هذا العالم السحري الذي يجسد أحلام بدايات إقامة القصور والأبنية الشاهقة والذي لا يزال واقعا ملموسا وفي الريف وعلى أطراف الطرق المؤدية الى مدينة صنعاء تقوم المباني ذات الأشكال المختلفة دائرة ، مربعة ، مستطيلة ، تنتصب عاليا فوق السهول المحيطة بها ، بارتفاعات قد لا تصدق ، إنها لا تزال قائمة على الرغم من ضعف مواد بنائها مع مرور الزمن وبسبب عوامل الطقس والمناخ فقد تآكل العديد من جدرانها ، مما أجبر العديد من السكان الى ترك هذه الأبنية والنزوح الى مناطق أخرى غير أن الأطلال تبقى بكامل ارتفاعها لعدة قرون تعكس تاريخا حضاريا من العلم والمعرفة مؤكدة قوة تلك الأبنية وصمودها رغم عوادي الزمن ٠

إن المنازل في صنعاء سواء كانت أبراجا دائرية أو مستطيلة تتوجها عادة غرف واسعة ومستطيلة تعلو جدران المبنى وقد تتجاوزها ببروزات مبنية بمهارة لتشرف على ماحولها بإطلالة رائعة ولقد نفّذ الفنانون اليمنيون أعمالا زخرفية من الجبصين والطين على شكل خطوط تزيينية على الجدران ٠

تزدان مدينة صنعاء القديمة بما يزيد عن ١٢ مأذنة تنتصب عاليا نحو السماء وتعلو كافة الأبنية المحيطة ، ان معظم البيوت تبدو مشرقة بزخارفها وألوانها المتلئلئة وبنوافذها ذات الألواح الخشبية المزينة بزخارف زجاجية ملونة ٠

وقد يرتفع بعض المنازل إلى ٩ طوابق فالأحجار منحوتة جيدا ومصقولة مع فواصل هندسية ، يحيط بمدينة صنعاء القديمة سور قديم ذو مداخل وأبواب غير أن كثيرا منها قد تهدم وزال ٠

إن صنعاء مدينة تتميز بكثافة سكانية عالية حيث يسكنها حوالي ٥٠٠ ألف نسمة متوزعون بين المدينة القديمة وحي القاع ومعظم السكان ينتسبون لعائلات صنعاء القديمة وبعضها الآخر قدم من الأرياف ، والمحافظات الأخرى ، وحل محل الصنعائيين الذين اختاروا السكن في البيوت الحديثة خارج الأسوار ٠

وأخيرا لا بد من الاشارة لما ذكره الكاتب أمين الرعاني في كتابه ملوك العرب يوصف صنعاء بعد وصوله اليها في عام ١٩٢٢ بقوله :
" مثلك لنا فكنت مليكة الزمان ومثلك لنا العلم فكنت يوما ربة العرفان ، ومثلك لنا الأساطير فكنت سيدة الجن والجان " ٠

هذه بيوتك العالية وقصورك الشاهقة فما كذب التاريخ ، وهذا جمالك الطبيعي وبهاؤك العربي فما كذب الشعر وفي خزائنك الكتب النفيسة والمخطوطات فما كذب العلم وهذه

كنوزك وسحر قصورك وسحر الأسماء فيك فما كذبت الاساطير • كنا نظنها أسماء ابتدعها الشعراء لعرائس الجن والخيال ولكنها في الحقيقة في أعلى مكان •• ثم يصفها بعد رحيله عنها بقوله :

وما أجمل مالاح لنا في سفحه - أي سفح جبل نقم - وخلال الحجاب مدينة عجيبة كان لها من أسباب العمران والمجد والشهرة ما لأكبر مدن العالم المتمدن اليوم لها تاريخ غابر مجيد لها مدينة قامت بين شمس المجوس وكواكب الأوثان وتعددت فيها الأسرار والكهان ، وعزت عندها آمال الانسان فكانت ملكة سبأ وكان حمير وكان قحطان ثم التوحيد وشوكة قريش وعدنان •"

نظرة أخرى يا صنعاء ونستودعك الله فقد أكلنا من ثمارك وشربنا من مائك ونمنا تحت سمائك وانتعشنا بعليل هوائك وكنا قبل ذلك نحبك فكيف بنا بعد ذلك !!

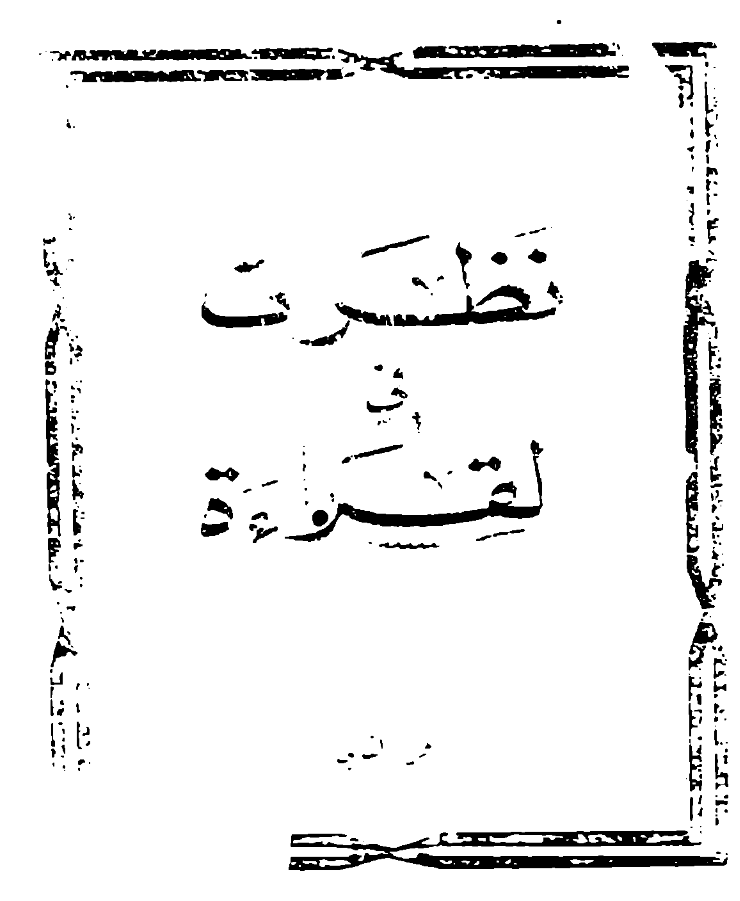
تلك هي اليمن السعيدة وتلك هي صنعاء عاصمة الجمهورية اليمنية مدينة الأصالة والعراقة والتاريخ •

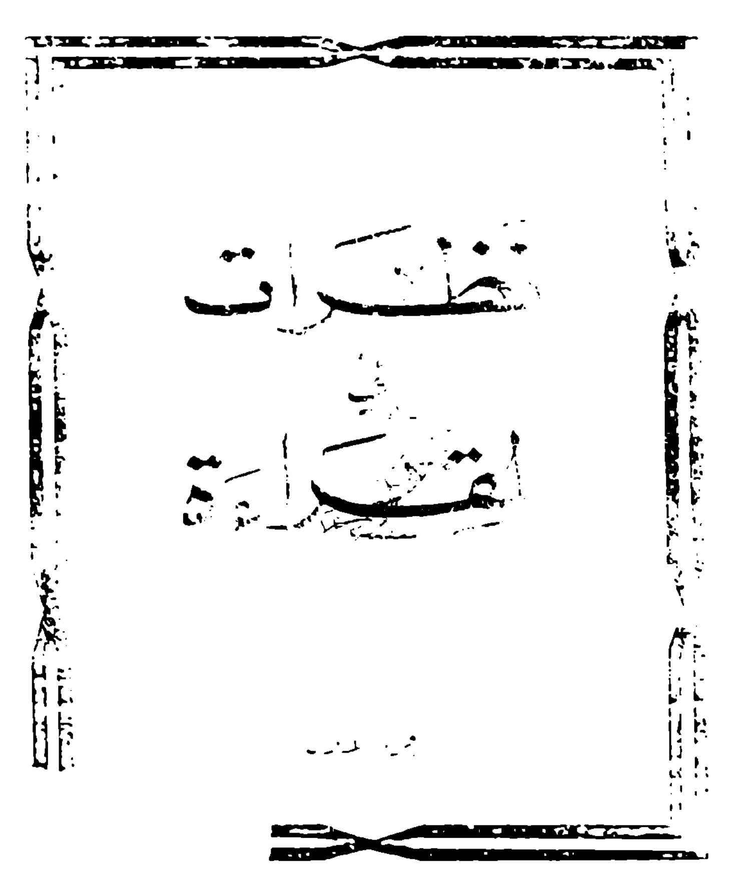
د • محمد سعيد الحلبي
مستشار في التخطيط الاقتصادي والاجتماعي لدى منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة الذي عمل في اليمن السعيد لمدة ثماني سنوات•

صدر حديثا

صدر حديثا للأستاذ أحمد الخوص نظرات في القراءة بجزئيه الأول والثاني ••

يعالج الجزء الأول قراءات الشهادة الاعدادية والجزء الثاني قراءات الشهادة الثانوية وهو بحث جديد يعين طلاب المرحلتين الاعدادية والثانوية في قراءاتهم ودراستهم •





فدىً لعينيك

شعر: جابر خيربك

أصابت الصديق الأديب فواز بشور وعكة صحية شفي منها ٠٠ فكانت هذه الرائعة الجديدة

دمي فـداؤك " يافواز " يا بطل
يـا نسـر تعشقـه الأجـواء والقلـل
دمي فـداؤك يامن في الضمير له
ظـل ظليـل وركـن وارف خضـل
وكل نبضـة قلب عـزّ مطلبهـا
فـدىً لعينيـك إن مـرت بـك العلـل

* *

تناقلوا النبأ المحزون فارتعشت
أعصاب من سمعوا الشكوى ومن حملوا
وذرّفوا الدمع خوفـا من أسى حدث
وبان فـوق الـوجـوه اليـأس والملـل
وداهم " الدار " هَمٌّ لا احتمال له
وروّع الصحـب هـذا الحـادث الجلـل
أخفَوْا عن المدنف الولهان ما سمعوا
خـوفـا عليـه إذا أمـر الأسـى نقلـوا
وكنت أسأل والأشواق تثقلنـي
عـن العيـون اللـواتـي زانهـا الكَحَـلُ
وفسروا البعـد لما طـال مـوعده
أنَّ الـذي أخـر " الغـالي " هـو العمـل
حتى وقفتُ على الأمر الذي انشطرت
منـه القلـوب وفـاض المـدمـع الهمـل

ولفني الخوف والتاع الفؤاد أسىً
وكل جارحة في الصدر تشتعل
يممت باصرتي والدمع يغسلها
نحو السماء لوجه الله أبتهل

أن يحفظ الرجل الأوفى ويحرسه
فإنه امل إن فاتنا الأمل

* *

" يافارس الجود " يا من كله قيم
وأنت يا خير من في خافقي نزلوا
ماذا أقول وفي الأحناء ملحمة
عن الفضائل ، عن ماضيك يا رجل
سكبتَ في كل قلب متعب أملا
عذبا وحامت على ينبوعك الغُلَلُ
حتى ارتوت من عبير الحب أفئدة
عطشى وقرّتْ الى أفيائك المقل

* *

" ابا حسام " وحق الله ما بقيت
في الصدر جارحة ما راعها الوجل
فكم غسلتَ الأسى في عين ثاكلة
أنت المعيل إذا ضاقت بها السبل
وكم فرشتَ دروب المعوزين ندىً
فالطيب منتشر والورد مكتمل
وكم ملأتَ قلوب الفاتنات هوىً
وكم ترنّح في أجفانها الغزل

فكيف تمتد أيدي الحادثات لمن
أغفت على كفه الأخلاق والمُثُلُ

* *

يا رب صنه وصن عينيه من وَصَبٍ
مَنْ غيره بذوي الحاجات متصل
ومن سواه صديق صادق ورع
أخلاقه فوق ما تأتي به الجمل
يا رب صنه لأهليه وأمته
فإنه الخير والمصباح والأسل
وإنه الحب والذكرى وكل هوى
غَنّى بنعماه هذا الواله الثمل
وافرشْ له الدرب أزهارا معطرة
فهو الوداعة يوم السلم والحمل
وهو الكَمِيُّ وسيف إن دهت نوب
وكاتب مبدع أسلوبه عسل
أقلامه وسجاياه محملة
بالعطر ما شابها مَيْنٌ ولا ختل
وليس إلّاه من آسى الجراح بنا
فكل جرح على كفيه يندمل

* *

يا رب سَدِّدْ خطاه في الحياة فكم
عَزَّتْ بأمثاله الأمصار والدُّوَل
واقبل رجاء محبيه وأسرته
يارب وحدك أنت الواحد الأزل

قراءة نقدية في كتاب العروبة والإسلام

للدكتور : جورج جبور

بقلم : عبد اللطيف محرز

الدكتور جورج جبور من رجال الفكر في هذا القطر ، يتميز بالحيوية والنشاط والعطاء الكثير من خلال كتبه ومحاضراته ، ومقالاته المتعددة ، ويظهر نشاطا ملحوظا في الدراسات المتعلقة بحقوق الانسان ، يحرص على إبراز النقاط المضيئة في تاريخنا العربي ، التي كانت منطلقا لحق الانسان في حياة حرة كريمة .

ففي الدراسة التي اصدرها في دمشق ١٩٩٠ م بعنوان " العرب وحقوق الانسان " يقول: (وكما أن التأريخ لحقوق الحرب في القانون الدولي يبتدىء فعليا بتلك التعليمات التي أصدرها الخليفة أبو بكر الصديق الى القادة العسكريين الذين قادوا الفتوحات ، فكذلك ينبغي أن يبتدىء التأريخ لحقوق الانسان بتلك الكلمة الرائعة التي أطلقها الخليفة عمر بن الخطاب يوم قال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)(١)

وفي مكان آخر من هذه الدراسة يقول : (لعل من الواجب أن يبدأ التاريخ لحقوق الإنسان بالوصايا العشر ، بل بما سبقها في تراث المنطقة العربية . ثم فلننظر نظرة مدققة في الآية القرآنية الكريمة : (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)(٢).

أفما تتضمن هذه الآية الكريمة كل المفهوم المعاصر المقترن بالجريمة ضد الانسانية وضد الجنس البشري ؟ أفما علينا كقانونيين عرب أن نلفت النظر الى السبق العلمي القرآني في مفهوم يفتخر عالم القرن العشرين باستحداثه ؟ .. الا ان المهزوم والفقير والجاهل لا تاريخ له ..، وقديما قال الامام علي كرم الله وجهه : - إذا أدبرت الدنيا على امرىء حرمته محاسن نفسه . ومن المعلوم أن للامام علي نظرات ثاقبة في حقوق الانسان كشف عنها المؤلف اللبناني جورج جرداق في كتابه الموسوعي المعروف عن الامام (٣) .

وقد نشر الدكتور جبور مقاله في جريدة الثورة الدمشقية بتاريخ ٢١-١-١٩٩٣ بعنوان (حلف الفضول أول جمعية للدفاع عن حقوق الانسان في العالم) وحلف الفضول هذا هو الاتفاق الذي تم بين عدد من زعماء قريش على نصرة المظلوم من أهل مكة ومن غيرهم وكان ذلك قبل ظهور الاسلام ، وقد قال عنه الرسول العربي (ص) بعد البعثة بأنه شهد مع عمومته في دار عبد الله بن جدعان أمرا لو دعي اليه في الاسلام لأجاب (٤) .

..

في هذا المناخ العام من الاهتمام بحقوق الانسان أصدر الدكتور جبور كتاب (العروبة والاسلام) وقبل أن ابدي بعض الملاحظات حوله سأعمد الى تلخيص مضمونه كي يتمكن القارىء الكريم من متابعة الخيوط النقدية من خلال

النسيج الفكري العام للكتاب ٠

هذا الكتاب هو مجموعة من المحاضرات ألقيت على طلبة الدبلوم في العلوم السياسية في معهد البحوث والدراسات العربية عام ١٩٧٥م ويتألف من ستة فصول وملحق إضافي مع بعض المراجعات حوله يبين المؤلف في الفصل الاول أهمية الموضوع المطروح للبحث ومكانه الأكاديمي في حقل الفكر السياسي والدستورية المقارنة ، راسما للموضوع حدوده النظرية ومعوقاته العملية وموضحا في كل ذلك أهمية الوجوه العربية في حياتنا الفكرية والعملية ٠

ويشرح في الفصل الثاني تجليات العروبة في نصوص الدساتير العربية من حيث اعتبار اللغة العربية لغة رسمية أولا ، ومن حيث التصريح بالانتماء للأمة العربية ثانيا ثم من حيث التعهد بالعمل للوحدة العربية ثالثا مع الاشارة الى الوجهات الأحق في هذه الدساتير رابعا ٠

ويتحدث في الفصل الثالث باختصار عن المرتسم الافريقي في دساتير البلدان العربية التي تقع في إفريقيا ٠

أما في الفصل الرابع فيتكلم بشيء من التفصيل ، والتركيز عن أثر الاسلام في دساتيرنا الراهنة ، من حيث وصف الدولة لنفسها ومن حيث النص على دينها والعلاقة بين الشريعة والتشريع وشروط تولي المناصب العامة وبعض المظاهر الدينية الأخرى ٠

وفي الفصل الخامس يتعرض دستوريا للتعابير الخاصة بالسكان (الأمة - القوم - الشعب - الجماهير ٠٠ الخ) وكذلك التعابير الخاصة بالأرض (وطن ، قطر ، اقليم ٠٠الخ)

واقتصر الفصل السادس على ملاحظات ختامية تتحدث عن مركزية فكرة العروبة في الدساتير وعن الصياغة اللغوية لهذه العروبة في هذه الدساتير ٠

هذا هو مضمون الكتاب والذي أرى من واجبي أن أبدي حوله الملاحظات التالية :

أولا - صدرت للكتاب حتى الآن طبعتان ، الطبعة الأولى عام ١٩٧٦م عن وزارة الثقافة السورية وكانت بعنوان (العروبة ومنطلقاتها الاجتماعية الاخرى والدساتير الراهنة للاقطار العربية) وكان إهداء الكتاب كما يلي : الى ذكرى مؤسس المعهد المرحوم الاستاذ ساطع الحصري ٠

أما الطبعة الثانية فقد صدرت عام ١٩٩٢ عن دار الرحا في حلب وقد تغير العنوان ليصبح (العروبة والاسلام في الدساتير العربية) ٠وتغير الاهداء أيضا ليصبح : الى ذكرى المصطفى محمد ابن عبد الله (صلعم) الذي ما إن اسس دولته في يثرب حتى أعلن سكانها في مستهل كتاب المدنية على اختلاف معتقداتهم الدنية أمة واحدة من دون الناس ٠

وتتميز الطبعة الثانية إيجابيا ، سواء في عنوانها أم في إهدائها ،لقد أصبح العنوان أكثر تعبيرا وتركيزا وأصدق إيحاء وتأصيلا فالعروبة والاسلام موضوعان رئيسيان على ساحتنا الفكرية والاجتماعية وعلى ضوء التحديد الدقيق للعلاقة بينهما ستتحدد آفاق نضالنا القومي والاجتماعي بكل أبعادها ٠

والاهداء الجديد أيضا أكثر تجسيدا للعنوان الجديد فالرسول العربي (ص) يجمع في تاريخه وتعاليمه بين العروبة والاسلام وهو أول من حدد مفهوم العروبة اعتمادا على اللسان العربي ، فعندما عرّض أحد العرب المسلمين بأعجمية كل من سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي - أعجمية أصولهم العرقية - خطب الرسول (ص) بالناس قائلا (أيها الناس ، إن الرب واحد ، والأب واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي) ٠

ويلاحظ في الصيغة اللغوية للاهداء الجديد أن الدكتور قد استخدم لفظة (المصطفى) وبالعودة الى المنجد (لويس معلوف - الطبعة الجديدة) تبين ان المصطفى هو المختار ، والإناء المصطفى هو لقب لبولس الرسول ، فهل قصد الدكتور بهذه اللفظة أن يهدي الكتاب الى الانسان العربي الذي يجمع بين العروبة والاسلام برسالتيه المحمدية والمسيحية معا ؟ وبذلك يصبح الاهداء أكثر شمولية وعمقا ٠

وأما عن السبب الذي استوجبه تغيير الاهداء فيقول الدكتور ما يلي : (ونظرا للاهتمام الذي حظي به الفصل الرابع - خاص بأثر الاسلام في الدساتير - وهو اهتمام تزامن مع تصاعد الاهتمام بالتيارات الدينية في العالم كله ، ونظرا لاضافة بحث الى الكتاب الأصلي - حول مناقشة دين الدولة في الجمعية التأسيسية السورية ٩٥٠ فقد رأيت تغيير الاهداء الى شكله الحالي) ٦١

وإذا ما رأى البعض في الاهداء الجديد تراجعا عن علمانية الحصرين في القضايا القومية فأرى أن هذا الامر وان كان أقل علمانية فهو أكثر علمية وواقعية خاصة وان الاهداء يشير الى كتاب المدينة ، وهو كما يحدثنا التاريخ ، وثيقة (دستور) حددت نظام حياة المسلمين فيما بينهم ، وأوضحت علاقتهم مع غيرهم بصورة عامة ومع اليهود بصورة خاصة ، وهذا يعني أن الدولة الاسلامية قامت منذ بزوغ فجرها على ما تحتاجه الدولة من المقدمات الدستورية والادارية (٧)

ثانيا- يشير الدكتور في مقدمة الطبعة الثانية الى ضرورة تأصيل العروبة على اسس علمية ودراسات جادة يمكن لها - بحسب تعبيره أن توضح لنا اشكالات مفهومة بشأن مسألة الانتماء) كما يشير في مقدمة الطبعة الاولى الى ان (علم السياسة في الوطن العربي ما زال يحبو لأسباب كثيرة بعضها يتصل بطبيعة هذا العلم وبعضها متصل بظروف الحكم) ٩

وهذا كلام جاد ودقيق وعميق يؤكد ضرورة العمل على ايجاد أبجدية علمية للسياسة العربية ، وإذا كان علمنا السياسي طفلا يحبو براي الدكتور ، فأرى أنه لا يزال في مرحلته الجنينية وأتمنى أن تسهم كتاباته في تسريع ولادته أو في حمايته على الاقل من عملية اجهاض محتملة ٠

إن وجود علم للسياسة لن يكون إلا بسيادة الروح العلمية ، والمرتكزات العلمية للسياسة ترتكز عليه ، وتترابط المرتكزات العلمية في الاقتصاد والاجتماع والثقافة وغيرها ٠

إنها أولا وأخيرا ترتكز على انسان ذي نظرة علمية لقضايا الحياة والمجتمع والكون والى أن يتوفر المناخ الملائم لولادة هذه المعطيات ستبقى سياسة الوطن والكون في الكثير من منطلقاتها تتراكض في حلبات التبشير حينا والتبرير أحيانا٠

اما مسألة الانتماء فلا أرى إشكالية مفهومية في هذا الشأن ، فالانتماء العربي هو السائد والمسيطر تاريخيا وواقعيا وشعبيا ، وان حاول البعض ان يشير الى نوافذ محتملة لانتماءات أخرى ٠

ثالثا - أوافق الدكتور على محتويات الفصل الاول وأشد على يده وهو يشدد على مركزية مفهوم العروبة ، ويشير الى الفائدة المرتجاه من الدستورية المقارنة ، بل وهو يعلن بواقعية وصدق عن تفاؤل دور الدساتير ، وقد كان واضحا وصريحا وهو يشير الى معوقات البحث العلمي في السياسة العربية ، فهو لا يزال اسير الحدود التي ترسمها له السلطات الحاكمة في كل قطر ٠

رابعا - إنني أكبر ذلك الجهد الذي بذل في الفصل الثاني ، في متابعة مفهوم العروبة في دساتير العرب ، وحيث توضح من خلال المقارنات الدقيقة بأن الدستور السوري ١٩٥٠ م كان الاسبق من غيره في استعمال تعبير (الأمة العربية) وكان الأسبق في النص على الانتماء القومي حيث تقول مادته الاولى بأن الشعب السوري جزء من الامة العربية ، كما كان الأسبق ايضا بالتعهد على العمل من أجل تحقيق وحدة الاقطار العربية ، كل هذا يثبت أن سورية هي قلب العروبة النابض ولهذا ألأمر أسبابه الموضوعية والذاتية ويستحق أن يكون موضوعا لبحث مستقل .

وفي المبحث الرابع من هذا الفصل يشير الدكتور الى الوحدات الاضيق من الوحدة العربية ويورد الفقرة (ب) من المادة (١٦) من الدستور السوداني كما يلي : (والديانة المسيحية في جمهورية السودان الديمقراطية لعدد كبير من المواطنين ، ويهتدون بهديها وتسعى الدولة للتعبير عن قيمها) . ويعلق على هذا بالآتي : (يلاحظ في هذا النص أن الديانة مبتدأ ، خبره المسيحية) . ويتابعه قائلا : (وهذا هو النص الدستوري الوحيد في كل الدساتير العربية الذي يذكر الاهتداء بهدي المسيحية) .

وهنا خرج صديقنا عن اختصاصه ، فأخطأ - وجل من لا يخطىء - فالديانة في النص السابق مبتدأ والمسيحية صفة لهذا المبتدا وليست خبرا ، والجار والمجرور (لعدد) كبير من المواطنين متعلقان بالخبر ، والتقدير : والديانة المسيحية في جمهورية السودان عقيدة كائنة لعدد كبير من المواطنين ، والاهتداء بهديها - كما يفهم من النص - يقتصر على العدد الذي يعتنقها وإن كان على الدولة بجميع سكانها أن تسعى للتعبير عن قيمها .

خامسا - وأما عن الفصل الرابع في هذا الكتاب فلا بد من الوقوف عنده قليلا ، خاصة وإن هذا الفصل على ما يبدو كان السبب في امتناع معهد البحوث والدراسات عن نشر الكتاب، قال الدكتور عن هذا الامر في مقدمة الطبعة الثانية مايلي : (وخلافا لما جرت عليه عادة معهد البحوث والدراسات العربية لم يقم المعهد الذي ألقيت في رحابه هذه المحاضرات بنشر المخطوط كتابا لأسباب لا أعرفها يقينا حتى الان ، وقيل أحب المعهد حذف الفصل الرابع أو جزء منه وتهيب أن يفعل ذلك دون مشاورتي ولعله تهيب ان يشاورني)١٢

وقبل أن اناقش محتويات هذا الفصل لابد من أن أوضح عقيدة الاسلام بشكل مركز ومختصر كما يلي : الاسلام هو الحلقة العليا او الاخيرة من حلقات التكامل الديني عبر التاريخ ، يرى بأن الاديان السماوية بعقائدها واخلاقها عن جوهر واحد ، وإن اختلفت شرائعها بين نبي وآخر بحسب درجات الوعي الانساني في كل مرحلة .

وختم النبوة بمحمد بن عبد الله (ص) يعني أن البشرية قد اصبحت قادرة بالاعتماد على نضجها العقلي أن تستخرج من كليات الشريعة القوانين التنفيذية التي تحتاجها لتنظيم اتجاه سيرها . قال محمد إقبال (شاعر وفيلسوف إسلامي) : إن ميلاد الاسلام هو ميلاد العقل الخلاق ، إن نهائية رسالة محمد كانت جوهر إيمانه ، لأن هذا يعني أن العقل الانساني قد وصل الى مرحلة الرشد واصبح يتقبل كافة التعاليم الالهية) ١٣ .

وقد شبه المفكر الاسلامي (مرتضى مطهري) البشرية بقافلة تتحرك في طريق معني نحو مقصود معلوم ، ولكنها لا تعرف الطريق فتصادف في كل فترة شخصا يدلها على هذا

الطريق وتستغني بذلك عن دليل جديد)١٤٠ ولكن من الذي يستطيع قراءة هذه الخارطة ؟ إنهم العلماء ، والحديث الشريف يقول (العلماء ورثة الانبياء) ٠

فالاسلام يعترف بجميع التعاليم السماوية والتي بلغت لجميع الانبياء في الماضي ، ويفتح المجال لنور العقل الانساني ليقود البشرية في المستقبل ٠

والآن ليسمح لي الدكتور جبور أن اسلط هذا الفهم الاسلامي على الفصل الرابع من كتابه لأسجل ما يلي :

١- يقول الدكتور : (القرآن الكريم يقوم من حيث هو المرجع الاعلى لنظرية الحكم في الاسلام - بما تقوم به الدساتير في الدول الحديثة مع فارق جوهري وهو أن علوية الدساتير مهما بلغت ليست بعلوية كتاب الله)

إن هذا القول ، واستنادا على الفهم الاسلامي الذي أوضحت ، يحتاج الى شيء من إعادة النظر ، فالقرآن بروحه الانسانية العامة ، ومن خلال الافاق الرحبة التي يفتحها أمام العقل هو الاطار العام والخميرة الروحية لمسيرة التكامل البشري على امتداد الايام ويجب على كل مجتمع اسلامي ، وانطلاقا من المرحلة الحضارية التي يجتازها أن يستخلص - بواسطة علمائه - من عموميات القرآن الامور التفصيلية المرحلة التي تتطلبها تنظيمات الحياة في تغيرها المرحلي ، ويصبها في دستور الدولة ٠

فالقرآن بهذا المعنى لا يتعارض مع الدساتير الوضعية ولا يمنع وجودها ، بل يوجبها ويدعو الى وجودها ، وهكذا فإن السبب الرئيسي في عدم وضع الدساتير في بعض البلدان الاسلامية يعود الى قصور عقلي في فهمه الديني الاسلامي وليس الى طبيعة هذا الدين ٠

٢- هذا الفهم الديني لم يكن غائبا عن المسيح العربية في بداية الدعوة الاسلامية حيث شاركت في الفتوحات العربية جنبا الى جنب مع المسلمين ضد الروم المسيحيين ٠ كما أن هذا الفهم بقي سائدا إبان ازدهار الحضارة العربية الاسلامية ولم تنشأ اية مشكلة لأقليات دينية في البلدان الاسلامية الا من خلال تأثيرات خارجية مشبوهة ، وكم هو عظيم وكبير ذلك الانسان الذي يدعى (فارس الخوري) والذي نقل عنه الدكتور جبور من على منبر الجامع الاموي في دمشق ، أثناء حملة الاستقلال هذا القول الرائع : (إذا كانت فرنسا هنا لتحمي الاقليات فإنني أعلن من على هذا المنبر أننا لسنا في حاجة الى حمايتها واننا مستعدون للرد على ذريعتها الى اعتناق الاسلام) ٠ ١٦

وهكذا فلا خوف على المواطنين المسيحيين وغيرهم في اي مجتمع إسلامي من انعكاس تعاليمه الاسلامية في الدساتير عندما يوضع لها التفسير العقلي الذي يستوعب قضايا الانسان ٠

٣- أوافق الدكتور جبور بأن شعار (دين الدولة) لابد من تحديده بكل دقة وموضوعية ، فهو تعبير عام يلفه الغموض وعلى الفقه الدستوري العربي أن يبين دقائق معناه التنفيذي ويشكل مرشح ليكون موضع اجماع ٠ وأعتقد أن الدكتور يشاركني الرأي في أن المشكلة تكمن في قراءة النص الديني فعندما يقرأ بعقل علمي واع ، منفتح على إنجازات العلم ومستوعب لمناخات الروح ، ويعبر كما يقول غارودي (عن شعلة الأجواء وليس عن رماد مواقدهم) ٠ أقول : عندما يقرأ النص الديني في إطار هذا الفهم تزول أية مشكلة امام الاخاء الانساني ٠ وجوهر الدين في كل من المسيحية والاسلام هو الانفتاح على الينابيع الانسانية الصادقية ، هو الاغتسال الدائم بأنوار المحبة التي لا حدود لها ٠

٤- ولكن مع الاسف هناك بعض الكتاب - وقد

يرتدون ثوب التقدمية أحيانا يجعلون الدين الاسلامي مسؤولا عن التخلف في الوطن العربي ، وبدلا من فهمه وإبراز النقاط المضيئة فيه ، ينفضون أيديهم منه ويتركونه لقمة سائغة للرجعية، تنشره كما تشاء وتضلل الناس به كما تريد، وقد بذلك الدكتور جبور - ولا شك - جهدا كبيرا في تتبع الأثر الاسلامي في الدساتير العربية ، راسما الواقع كما هو ومفسرا النوابض الاجتماعية التي قادت اليه ، ولكنه وربما من حيث لا يشعر قدم بعض الخدما لهؤلاء الذين يريدون أن يجدوا علاقة ما بين أثار الاسلام ومظاهر التخلف ، ففي مقارناته الدستورية يبدو ن الأثر الاسلامي يزداد في الدساتير مع ازدياد لتخلف الاجتماعي في بلد انها كما يبدو ذلك واضحا في اليمن الشمالي . وأعتقد ان الدكتور جبور لم يكن في ذهنه ان يصل الى هذه النتيجة ولا ان يشير اليها خاصة وهو الذي يرى إن المرتسمات الاولى لحقوق الانسان قد وجدت في نسيج الحضارة العربية الاسلامية كما بينت في مقدمة هذه الدراسة .

لا بد من التمييز بين جوهر الدين الذي يدعو الى التقدم الحضاري وبين القشور التي تراكمت عليه بفعل التخلف البشري ، الدين سلاح ذو حدين ، والقرآن كما قال الامام علي : (حمال أوجه) ، فلا بد من تفسير النص الديني على ضوء العقل ، ولا يجوز للمفكرين التقدميين وخاصة في هذه الظروف التاريخية ان يغادروا ساحة الايمان الديني ، فالدين سيبقى لأمد طويل ، وربما للأبد ملهما لقطاعات واسعة من الناس ، والفكر التقدمي أولى بهذا التراث ، بالحفاظ عليه كما أراده الله لا كما يريده الشيطان .

ان المشكلة لا تكمن فيما قاله الدكتور التأثر الاسلامي ، فهو يرسم واقعا لامجال لنكرانه، بل بما يمكن ان يستنتج مما قاله تفسيرا لهذا الواقع .

هذا ما خطر لي أن ابديه حول هذا الكتاب وأعتقد أن صديقي الدكتور سيرحب بملاحظاتي فالحوار الفكري الهادىء الذي يحترم الرأي الآخر هو دليل الصحة الحضارية وعنوان التفاؤل الانساني ، وأتمنى على هذا الصديق ان يتابع أبحاثه عن العلاقة بين العروبة والاسلام ليس في مجال المقارنات الدستورية فقط ، بل وفي كل المجالات ، ولعله يشاركني الايمان يقول القائل : كلنا مسلمون ، منا من أسلم لله بالقرآن ، ومنا من أسلم لله بالانجيل .. ومنا من اسلم لله بالحكمة ..

هوامش

١- العرب وحقوق الانسان ص ١٧ د.جورج جبور
٢- سورة المائدة آية ٢٢
٣- العرب وحقوق الانسان ص ٤١ د . جبور
٤- جريدة الثورة عدد ٩٠٣٣ تاريخ ٢١-١-٩٣
٥- العرب يستيقظون ص ٥١ د. محمد عماره
٦- العروبة والاسلام ص ١٢ د. جبور
٧- فقه السيرة النبوية - محمد رمضان البوطي
٨- العروبة والاسلام ص ١٥د.جبور
٩- = = ص ١٧ =
١٠- = ص ٩٥ =
١١- = = ص ٩٦ =
١٢ = = ص ١٤ =
١٣- فلسفة اقبال د . علي زيعور
١٤- ختم النبوة - مرتضى مطهري
١٥- العروبة والاسلام ص ١٠٤ د. جبور
١٦- العرب وحقوق الانسان ص ٢٣ د.جبور
١٧- العروبة والاسلام ص ١٠٦ =
١٨- ما يعوبه الاسلام - غارودي

عبد اللطيف محرز :
شاعر وعضو مجلس الشعب عن محافظة طرطوس وسابقا نقيب معلمي المحافظة .

مختارات عالمية

ما فعلته بيكسيو

لألفونس دوديه

ترجمة : فاطمة عابدين

في صباح يوم من احد ايام تشرين الأول وقبل أن أغادر باريز ببضعة ايام كنت أتناول فطوري عندما دخل علي رجل عجوز يرتدي أثمالا مهلهلة ، أعرج الخطى ، متهدم الجسم ، ملطخا بالوحل ، يضطرب ويرتجف فوق ساقين طويلتين كأنه لقلق منتوف الريش ..

إنه - بيكسيو - إنه بيكسيو .. يا أهل باريز بيكسيو اللطيف .. الصارم ، بيكسيو الساخر الغاضب ، الذي طالما أمتعكم منذ مايزيد عن خمسة عشر عاما بأهاجيه الساخرة ، ورسومه الكاريكاتورية الرائعة .

يا للمسكين ، ماهذا الأسى الذي يغوص فيه ؟ ولولا شبح ابتسامه لاحت على وجهه لدى دخوله ، لما استطعت التعرف عليه ، كان يحني رأسه بين كتفيه ، وفي فمه امتد غليونه بين أسنانه كأنه مزمار ..

ذلك المرح ، ذلك المازح ، ذلك الشاعر الحزين يتقدم إلى وسط الغرفة ويلقي بنفسه على مقعد أمام منضدتي ، ويقول بصوت ينشج :

- اعطف علي أعمى مسكين ..

كان تمثيله متقنا لدرجة الكمال حتى أنني لم أتمالك من الابتسام ..

لكنه فاجأني وقال :

- أتظنني أمزح ياهذا ؟ لا .. انظر إلى عيني..
وأدار نحوي حدقتين خبا النور فيهما وبيضهما العمر ..

- أنا أعمى يا صديقي .. أعمى والى طول العمر لقد حرقت عيني تلك المهنة الرائعة ، حرقتهما حتى عمق الأحداق ..

قال ذلك وهو يشير الى أجفانه المحروقة ، ولم يبق فيها أثر لرمش واحد وتاثرت أشد التأثر حتى أنني لم أجد ما أقوله . وأقلقه صمتي فسالني :

- هل تقوم بعمل ما ؟

- كلا يابيكسيو .. انا أتناول فطوري ، هل

ولم يجب .. لكن فتحتا أنفه ارتعشتا ففهمت أنه يتحرق شوقا لقبول عرضي .

أمسكته بيدي وأجلسته إلى قربي ، وراح المسكين يشم المنضدة وأنا أقدم له الطعام وهو يرسم على وجهه ابتسامة صغيرة ، ويقول :

- يبدو كل هذا لذيذا طيبا ، سأتناول معك فطورا لم أذق مثله منذ زمن طويل .. فأنا أشتري كل يوم خبزا بقرش واحد آكله وأنا أدور بين الوزارات ، أنت تعرف أنني أدور بينها .. ولا عمل لي غير ذلك .. أحاول أن أحصل على مركز لبيع التبغ .. ماذا تريد يا أخي .. يجب أن نأكل في البيت .. وأنا لم أعد قادرا على الرسم وفرغ راسي من كل مادة فلم أعد أبدع شيئا ..

كنت أعمل في إظهار ملامح باريز .. وابتكرها .. لكن الآن - لم تعد هناك وسيلة لذلك، وفكرت في إمكانية الحصول على مركز لبيع التبغ .. ليس في الشوارع الكبيرة حتما فتلك نعمة لاحق لي بها ، فلست أما لراقصة ولا أرملة موظف كبير ، أريد مركزا صغيرا في البروفانس في أي جهة مهما بعدت حتى ولو كانت في إحدى زوايا جبال - الفوج - سيكون لي هناك غليون متين من الخزف ، سأطلق على نفسي اسم هانز- أو زبيدي كما فعل الكاتب اركامان شاتريان .. سأتسأسى بذلك عن الكتابة فألف السجاير وأقوم بكل ما يمكن ان يقوم به من كان مثلي .. هذا كل ما أحلم به الآن ..

ليس هذا كثيرا علي لكني بحاجة لمساعدة الشيطان لاحصل عليه ، وعلي أن أكون حذرا، فقد كنت مندفعا أكثر من اللازم فيما سبق .. كنت أتناول طعامي كل يوم مع الوزير او مع الأمير أو مع الماريشال ..

كانوا كلهم يحبونني .. يريدونني لسببين : أولهما أنهم كانوا يخشون سخريتي .. وثانيهما انني كنت أرفّه عنهم وأسليهم ..

أما الآن فلم أعد أضيف أحدا ..

آه يا عيني .. يا عيني المسكينتين ، لهفي عليكما .. لم يعد هناك من يدعونني لأي أمر ..

وآلمني جدا رأس هذا الأعمى فوق المائدة وتابع قليلا :

- أعطني مزيدا من الخبز من فضلك ..

يا للصوص .. سيكلفني شططا هذا المركز للتبغ .. فمنذ ستة أشهر وأنا أتنقل بين الوزارات حاملا معروضي .. أصل الى الوزارة مع إشعال مدافئها عندما يقوم سعادة الوزير بدورته المعتادة على صهوة جواده فوق رمال الساحة ولا أعود إلا في الليل عندما يهيئون الفوانيس الكبيرة وتبدأ روائح الطعام اللذيذ تعبق في المطابخ ، اقضي أوقاتي فوق تلك الصناديق الخشبية في الردهات .. يقول لي الحجاب : هيا ادهل يا بيكسيو .. فجميعهم يعرفونني ويدعونني السيد الطيب ..

أما أنا .. فلكي أكسب ودهم أقدم لهم بعض النكات ، أو بعض الاحجيات أو أرسم لهم بعض الخطوط فوق ورق نشافاتهم ، شنبات طويلة مثلا تجعلهم يضحكون طويلا .. هذا ما آل إليه حالي بعد عشرين سنة من النجاح المرموق الذي كنت أحسد عليه .. هذه نهاية الحياة لفنان مثلي . أما اليوم فيمكننا القول أن في فرنسا أربعين مليون من الصبية بللت مهنتنا أفواههم ، وأنه من الدوائر والمكاتب محرك يبعث الدفء ليولد لنا جيلا من السخفاء المتعطشين للأدب والصخب المطبوع ..

وقلت في نفسي :

أيها البروفانسي - الشاعري الحالم - لتكن مأساة بيكسيو درسا مفيدا لك بعد اليوم .

وانكب فوق صحنه يلتهم طعامه بنهم دون

أن ينطق بحرف . . وأفعم قلبي الحزن وأنا أراه على هذا الشكل يفقد خبزه ثم شوكته ويتحسس المنضدة ليمسك بقدحه ، يا للرجل المسكين ، انه لم يعتد على ذلك بعد وتابع - بيكسيو بعد صمت قصير ..

- أتعرف ماهو الأشد قسوة بالنسبة لي .. عدم قدرتي على قراءة الصحف ويجب أن تكون ابن المهنة لتدرك مقدار هذا الألم .

اشتري صحيفة وأنا عائد الى بيتي في المساء.. لا لشيء إلا لأنشق تلك الرائحة ، رائحة الورق الرطب والاخبار الطازجة .. لا يوجد من يقرأها لي .. إن زوجتي تستطيع ذلك حتما .. لكنها لا تريد ذلك .. وتدعي أنها تجد في ثنايا الأحداث ماهو غير ملائم للقراءة ..

آه منهن ، أولئك العشيقات .. عندما يتزوجن يغدون صامتات لا يحسن الكلام ، فمنذ أن جعلت منها السيدة بيكسيو تخيلت أن عليها أن تصبح قاسية القلب ، قليلة الايمان ، هي ترفض حتى أن تدهن لي عيني بماء مقدس من كنيسة - ساليت - فنحن غارقون حتى أعناقنا في أعمال الخير .

لو كانت ابنتي هنا .. لقرأتها علي ، لكنني وللأسف أدخلتها الدير منذ أن غدوت مكفوف البصر ، وذلك كي تنقص الأفواه الأكولة واحدا منها ، ومن ثم فالمسكينة لم تدع مرضا يفلت منها منذ أن رأت النور أي منذ حوالي تسع سنوات فهي لم تسلم من مرض من الأمراض محزنة ودميمة وأقبح مني منظرا ..

هي كالمسخ لو شئت ..

- ماذا تريد يا أخي ؟ أنا لا أعرف أحمل الا الاعباء الثقيلة ، ولكن .. ومع هذا فأنا طيب جدا ، عندما أروي لك همومي ومتاعبي ، فماذا يفيدك ذلك ..

- هيا زدني من ماء الحياة هذا .. فعلي أن أعيد توازني وأجعل وضعي النفسي جيدا إذ سأذهب بعد خروجي من بيتك الى وزارة التعليم العام وليس من السهل إضحاك الموظفين هناك فجميعهم أساتذة قدامى ..

وصببت له قدحا آخر من ماء الحياة اخذ يرتشفه على دفعات صغيرة وبدا ساهما .. وفجأة .. ولا أدري ماذا خطر له .. نهض قائما وقدحه في يده لا يزال .. وأدار حول نفسه رأسا كراسي الأفعى العمياء وارتسمت على ملامحه ابتسامة رجل سيبدأ بالكلام .. وبصوت صارم مرتفع وكأنه يلقي خطابا في اجتماع يضم أكثر من مئتي مستمع صاح :

- أيها الناس .. هيا الى الفنون .. هيا الى الآداب .. هيا الى الصحافة .. وأخذ يرتجل خطبة لأكثر من عشر دقائق لا أطول ولا أدهش ولا أعجب منها خطبة .. ارتجالا لا يمكن أن يخرج إلا من رأس هذا المشعوذ ..

تصور .. مجلة نهاية العام لهذه السنة عنوانها الطريق الى الآداب ..

مجالسنا الأدبية .. أو كما يطلق عليها ذلك .. ثرثراتنا .. شجاراتنا .. جدلنا .. ضحكاتنا في عالم لا مركزي ، نفض دخان سجائرنا في فوهات المحابر ، ذلك الجحيم الذي يخلو من أي عزة أو إباء ، حيث سينتحر المرء ، تنتزع أحشاؤه ويسرق ، يتحدثون عن المصالح والاموال أكثر ما يتحدث عنها البورجوازيون .. ويموت فيه الانسان من الجوع أكثر من اي سبب آخر ، ذلك البارون العجوز الذي يقصد قصر - التويلري بأثماله الممزقة وصحيفته في يده ..

أمواتنا لهذا العام ، طلبات الدفن الكتابات الجنائزية المكررة : " أيها العزيز المأسوف على شبابه تكتب على قبر انسان رفضوا أن يدفعوا له ثمن القبر .. الذين انتحروا ، الذين اصابهم الحتوف .. تصور كل هذه الامور يرويها ،

يفصلها يصورها ، رسام ، وكاتب عبقري ، فتستطيع ان تكون فكرة عما كانت عليه عبقرية وبداهة صديقك - بيكسيو -

وانتهت الخطبة ·· وفرغ القدح، سألني عن الساعة وانطلق لا تعبر ملامحه إلا عن القسوة، انطلق دون أن يقول لي وداعا ··

ولا أدري ، كيف استقبله حجاب - السيد دوراي في هذا اليوم لكن ما أعرفه هو أنني شعرت بتعاسة لا حد لها واجتاحني حزن كبير ولم أكن متأثرا في يوم ما هل كما تأثرت أثر مغادرة هذا الاعمى الرهيب ··

كنت أنظر بألم الى محبرتي فوق المنضدة وسببت ريشتي لي الرعب ·· وددت لو أهرب ·· بعيدا ·· لو أعدو ·· لو أشاهد الأشجار والطبيعة ·· لو أشعر بأي احساس طيب ··

يا للمرارة ، ويا للحقد ، كم أود لو ابصق على كل شيء ، أن أوسخ كل شيء ·· يا للمسكين ··

رتبت غرفتي وأنا غاضب تعود الى ذاكرتي في كل دقيقة همهمة القرف في صوته وهو يحدثني عن ابنته ··

وفجأة ·· أحسست بشيء يتدحرج بين قدمي قرب المقعد الذي كان الأعمى يرتاح فوقه التقطته ·· فإذا هو حافظة - بيكسيو - محفظة كبيرة لامعة محدبة الزوايا لم تكن تفارقه أبدا وقد أطلق عليها وهو يبتسم ·· " جيب السم "

حتى هذا الجيب كان شهيرا جدا شهرة مصور السيد (جيراردان) ويقال أنه يحوي على أشياء رهيبة ··

كانت فرصة مناسبة لاعرف مابداخلها ، تلك الحقيبة البالية ·· انفتحت فانبثقت الأوراق منها وتناثرت فوق البساط وكان علي أن ألتقطها واحدة واحدة ··

كانت هناك رسائل عددية كتبت علي ورق وردي اللون تبدأ كلها بجملة " ابي العزيز " وموقعة باسم " ميلين بيكسيو " واردة من كنيسة أبناء مريم ·· وصفات طبية لأمراض الطفولة كلها : الذءبة - الاضطرابات الهضمية ، الحصبة ، الحميراء ، لم تفلت الطفلة المسكينة من أي مرض

وفي النهاية مغلف ·· مغلف كبير ، كقبعة علا رأس طفلة برزت منه وتدلت خصل من شعر أشقر مجعد نقش عليه بخط كبير مضطرب خط رجل لا يرى ··

" جدائل من شعر " سيلين " وقد قصت لها في الثالث عشر من ايار ، يوم دخولها الدير ··

هذا ما كان في حافظة " بيكسيو "

يا أهل باريز ·· كلكم هكذا ·· قرف واشمئزاز ·· سخرية وضحك جهنمي ·· ثرثرة قاتلة وهزار وحشي وأخيرا ··

خصائل من شعر " سيلين " قصت في الثالث عشر من أيار ··

ترجمة : فاطمة عابدين

قراءة نقدية في شعر باكير محمود باكير

بقلم: اسماعيل عامود

يندرج شعر الاستاذ " باكير محمود باكير " تحت مفهوم الشعر السلفي والتفعيلي في آن واحد ، أي أن الشاعر كتب الشعر منذ بداياته في الستينات على النمطين ، التقليدي والتفعيلي ، إن صح التحديد ، فهو لازم حركة الشعر الحديث منذ يفاعته حتى شبابه ، بمعنى أن الحركة تلك قد اثرت بأكثر الشعراء الذين ظهروا في الساحة ، أو هم اثروا بها ، لا فرق ، المهم ، إن الشاعر الذي أقرأ في شعره الآن ينتمي سنا وإنتاجا الى جيل الشعر الذي نشأ في كنف أحداث الخمسينات والستينات من هذا القرن الراحل ، القرن العشرين تحديدا ٠٠ والشاعر "باكير" وإن لم يظهر خلال النشر في الدوريات إلا قليلا ، فإنه ليس من أولئك الذين يلهثون وراء النشر المتواصل ، أو قل : النجومية ٠٠ أو قل : البروز و "البروظة" ٠ وإنما كتب الشعر ويكتبه بدافع ذاتي ٠٠ ولكي يشبع ميوله ، ويمارس تجاربه في هذا الجنس من الأدب العربي الحديث فكم من شاعر ترك مجموعة شعرية واحدة يتيمة، أو ترك أبياتا من الشعر ، وذكره بقي يطرق اسماع الأجيال التالية ٠٠ ذلك لأن شعره دخل ذاكرة الناس والتاريخ لجماله وتألقه وإبداعه ٠٠ والعكس صحيح ٠٠ وهو ، اننا نقرأ كثيرا وكثيرا جدا لشعراء ينشرون مجموعاتهم أو اشعارهم في الدوريات سنوات وسنوات ٠٠ ولكن ، لا أحد يحس بهم ن أو يرتعش ويندهش لأشعارهم الفارغة الجوفاء ٠٠ وإنني ، وإن تجرأت لكتابة هذا الكلام ، فإنني لا أبغي من ورائه إلى النفخ في "بالونات" التعالي والتبجح ، وإعطاء علامات أزين بواسطتها أعمال الآخرين ٠٠ وبخاصة ، هذا الشاعر الذي لا يحب "العراضات" كما كان يقول الكاتب الراحل "مارون عبود" ٠

فاشعار "باكير" عند الوهلة الأولى من قراءتك لها أو فيها ، لا فرق ، - وهذا القول الآتي بعد قليل ليس تعميما على مجمل أشعاره - تشعر بوجود ترتيب قلق من خلال رؤية ذاتية تتشاءم حينا وتتفاءل حينا ، ولكنها في شموليتها وعموميتها تنحو في إتجاه ، أو اتجاهات، إنسانية ، لا تعدم من الرحمة او الشفقة، أو الاستنكار ؟٠٠ فقصيدته (مناجاة المحيط)مثلا هي وقفة تجاه بحر محيط كان الشاعر فيها مندمجا مع المشهد في مناجاة لا تخلو من حيرة واضطراب في شؤون الحياة ٠٠ إنها مناجاة فيها من عمق الاحساس ما يضفي على القصيدة شيئا من واقع الحال ٠٠ ويتساءل الشاعر ، وكأنه يبحث عن الحقيقة :

هل ترد السؤال نحوي سليما
أو يكون السؤال مني يفيد؟

و

غابر الدهر قد طوى منك سرا
يدهش الخلق لا تحطه حدود

و

ها أنا الآن عائد يا محيط
وخيالي قد ضل فيه القصيد

إنه القلق والحيرة يعتريان الشاعر في مسيرته لاكتشاف الحقيقة ٠٠ ولكن متى ؟ وأين؟ لقد تاه الخيال حتى في القصيدة ٠٠ إن مثل هذه الرؤية أو الموقف يكثر في شعر الشاعر إذا أحصيناه بدقة ٠٠ من خلال عدسة صافية الزجاج ٠٠ إنها "الرومانسية" الشفافة التي عمت كثيرا أشعاره ٠٠ واليك بعضا من هذه الرومانسية التي نجدها في موصوفاته ٠٠ فالوصف عنده يمنح الثقة لجماليات قد تكون مطروقة في شعرنا العربي على امتداده في القديم أو في الحديث ٠٠ إلا أنه عند "باكير" يظهر لنا جليا غير مشوه بإضافات لا تقبلها العين الناظرة للمشهد أو للتصور المتخيل له ٠٠ ومع هذا ، فإن الشاعر يبدده وكأنه متأثر بشعر السلف القريب ، عصر أحمد شوقي وما دار فيه :

ترف البنفسج في مساكبه
يـذوي ويحضـن سـر دنيـاه
وأتى الخريف يميت أضلعه
والـريـح تعصـف في بقـايـاه
والورد شاب وما يعاوده
عمر الشباب ٠٠ ولا محياه (١)

وإذا هو مال الى الطبيعة ، بل إلى اشياء الطبيعة أو أدواتها ، فإنه يدخلها في تلافيف شعره منسجمة ، أي متوافقة مع (الحال) التي قصدها في تكوين القصيدة الوصفية ، مع التفاتة الى تركيبات تقليدية ، ومفردات مطروقة ولكنها غير مستهلكة كثيرا :

لا ، لي ، ولكن للهوى تقف الحروف
تيها وإجلالا وتغمرها طيوف
جمعتها جدا ، فأغرقني الهوى
ونطقتها شوقا فأحرقني الوجيف

إلى أن يقول :

هي أحرفي تندى وتورق دائما
اثمارها شعري وآهاتي حفيف

ونحن إذا انتقلنا الى قصيدته (القحط في سلمية) وسلمية بلدته ، نلمس ان الشاعر في هذه القصيدة يضع لمساته على واقع مؤس ومؤلم في آن معا ٠٠ وسلمية هه التي كانت تجود بخيراتها الطبيعية ، والزراعية ٠٠ ثم فقدت انتاجها وسماتها الاقتصادية ، وغدت في طبيعة مدقعة الزرع والضرع ٠٠ يقول :

يا بلدة بالطيب والأحلام مرتعها محضب
أين الندى ٠٠ ؟
أين النضارة في الغصون ٠٠؟
انظر الى شبح القنوط على وجوه اليائسين ٠٠
القحط عجلان الخطى ٠٠ والأفق شاحب (٢)

ومع هذا، فالشاعر يسترسل في وصف مدينته عندما كانت خيرة ومليئة ٠٠ مما جعلها عروس المدن ٠٠ إنه تداع الى ماض قريب ، وجميل :

قد كان يبسم للزهور فم الربيع
وعلى السواقي يرتمي سرب القطا (٢)

وفي القصيدة تداغم تام بين الشاعر وأماكن المدينة في الزمان وفي " الحال " الوضع - ان الشاعر في حاله تلك ٠٠ يعب من الاسى والذكريات في شحوب يكاد ينفطر له القلب :

يا دمعة حيرى على جفن المساء
أين المقاهي والنودي العامرة ٠٠
أين الصخب ٠٠٠ ؟

كذلك ، إذا نحن تعمقنا في وصفياته وسرنا معها ٠٠ حتى عبر محليات محدودة ومعينة فإننا لا نبتعد عن فهمنا للشاعر وكيف يندمج معها اندماجا جميلا ٠٠ في حنين الى مكان توضعه أو عيشه فيه ، إنه في حنينه هذا ،

يسافر إلى أبعاد شعرية لا تعدم من الجمال ..
كذلك لا تنفصل مشاعره الحنينية الجياشة عن المكان .. وإنما يعطيه أو يمنحه الكثير من الشجن ، ربما ، لأنه يريد لهذا المكان أن لا يكون لغيره ، بمعنى أن لا يكون لمغتصب تحديدا، وهذه حال كل مواطن مخلص .. وحنين هذا الشاعر لمكانه جاء عن طريق الحب ليمنحنا الثقة ثانية بصدقه وبمعاناته هو :

تركتك أحمل جرحي الأبي
ذكرتك ثأرا مع الثائر
فما الحب يا دار إلا لظى
يؤجج حقدي على الغادر
....
حمامات حبك طارت ضحى
وراحت تهيم على كل واد
جروف السنين على صخرة
تعبر عن ساكنيه الأول
فنحن التصاق الزمان بها
وفي البدء كنا .. ولما نزل
.

وموقف الشاعر - هنا ، اليس قويا ومضمونا مثل الصخر إذا نقشت عليه حالات الوطن ؟ إن الصخر وإن شاب ، فإنه باق ما بقيت الأرض تدور في فلكها ، إنها ، ولو أنها بدت كعموميات ، لكنها تفي بالغرض الذي هدف اليه الشاعر .. بيد اننا نجد تعميق هذا الشعور تجاه بلاده ، وبخاصة بلدته هو بالذات ، والتي نشأ فيها وترعرع .. فيقول :

أحبك ، لو أن حبي مطر
لعاش ربيعك عمر الزمان
أحبك ، لو أن حبي ثمر
لأينع قبل أوان الأوان
بعثتك عبر رماد العصور
فكنت الحياة .. وكنت المكان
....

سلمية يا زهر الأقحوان
تسامت على شفة الباديه
نموت على كتف الكادحين
كطفل ترعرع في العافيه (٣)

هذا ، وإذا نحن عرجنا الى مايشعر به هو تجاه وطنه ، أي إذا نحن دققنا في هذا الشعور دون محاباة أو مجاملة .. فإننا سنلتقي بمواطن يريد لبلده ، الأفضل والأحسن .. ففي قطعته (ثوار على الدرب) وهي مخطوطة لم تزل، يجسد وضعا متواترا ومتشنجا وربما يائسا مما توضع فيه وطنه من تناقضات سياسية ، ربما، في مرحلة من المراحل ، سببتها بعض الايديولوجيات الوافدة ، فهو ، اي الشاعر ، يبدو أنه كان متهورا جدا مما آلت إليه البلاد أوائل الستينات .. ولعلني لا أنكر ، أو لا أكون بعيدا عن أجواء القطعة إذا قلت : إن الشاعر باكير صاحب فكرة ثورية ، ولكنها ليست تطورية .. وهو ، وإن كان يضيف (كاف) التشبيه على بعض جمله الشعرية ، فلأنه يريد الأفضل والأحسن ، كما قلت آنفا ومنذ قليل .. كذلك ، فهو يريد التلاحم المصيري الواحد ، اسمعه يقول:

يا موطنا غرق النضال - البكر في أوحاله
يا موطنا عصف العناد - الصخر في أسماله
. الخ
كالنسر .. كالتيار . . كالنمر .. الخ
.

ان الشاعر ، في وطنياته وقومياته كثير من الاحساس الصادق .. إنه تاره مع الأمل والرجاء، وتارة يعكس الى الاصلاح ، مثله ، مثل ذاك الذي يهدم منزله القديم المتداعي ليبني على أنقاضه منزلا جديدا .. وها هو يبعث برسالة - على لسان فتاة الى فتاها في خط النار - الجبهة :

- أخط إليك حنين الضلوع
أخط إليك حكاية حب قديمه

حكاية من سنين قديمه
- أخط سطورا بدمع الحزن
وشجو الأماني ، وهمس الشجن
فهلا أراك ؟
وهلا تدق الزقاق القديم خطاك ؟
- أيا رابضا عند خط النار
سلامي إليك
وحبي اليك ..
رعاك الاله
على شفتي كل يوم صلاه ..
-..

ولما كان الشاعر " باكير محمود باكير" شمولي الموقف ، وامتداد شعوره الى أطراف الوطن العربي الكبير ، فإنه لم ينس ، أخيرا وليس آخرا ، " أطفال الحجار" انتفاضة الشعب العربي في فلسطين المحتله :

.. يخط الطفل ملحمتي
ويرسم درب قافلتي
ويصفع باليد البضه
وجوه البغي في يافا ..
- أليك أمد أشرعتي
ألا يا سيدي الربان
يا طفلي وأمنيتي
بكف تحمل الحجرا
بكف تصنع القدرا (٤)

أما في اجتماعياته ، بل قل ، في خصوصياته العامة ، فإنه ، من جانب ما .. يتهكم على الذين يروجون للخرفات .. منهم راميات " الودع " مثلا .. فيقول :
وأقذف خمس ، ودعات
وأحصي .. كل أبعادي
وبعد سابع قد ضاع خلف تخيل صادي ..

إنه - هنا قصد التذكير وليس التأنيث ، وهذا جاء لأجل استقامة الموسيقية الشعرية ، ليس إلا .. وهنا ، لا بد من أن نشير الى أن اشاعر باكير ، كما ذكرت في بداية هذا المقالة النقدية ، يموسق شعره ليجعله متناسبا مع الصورة اشعرية في سيالة عصبية لا تخلو من النغم الجميل المطرب .. ففي محاولاته كتابة القصيدة الحدثية ، أي تلك التي تمشي على نمطية قصيدة التفعيلة ، بناء وشكلا وإيقاعا ، لا تخلو من شيء من التجديد ، ذلك لأن المرحلة لتي بدأت تظهر فيها قصيدة التفعيلة ، كانت مرحلة إنشاء وبحث ، عن قامة للشعر العربي في حداثته ، ولذلك نجد باكير محمود قد جذبته تلك المرحلة ، أو قل هذا النمط الجميل :
- .. لمن الحروف تبعثها ؟
للشامتين .
للجامعين نقائض الناس
يروونها بمجالس الكاس
.. لمن الحروف تبثها ؟
ألما ونوحا
نديانة بالذكريات .. (٥)

وقبل أن انهي قراءتي في شعر هذا الشاعر المنزوي ، لا بد لي من الاشارة الى أن أكثر قصائده التي كتبت ، ألاحظ فيها تدفقا في تعابيرها ، وتطويلا في غير مبرر ، فكانه يرغب في التأكيد على تجربته .. فتطول عنده القصيدة، وخاصة في تلك اللاتي يكتبها على النمط التفعيلي ، كما أنه في هذه ، يرغب بالانتقال في مقاطع القصيدة من تعبير الى آخر .. ولكن دون أن يخرج عن الموضوع المطروق والذي حرضته تجربته على ولوجه .. إنه شاعر مخلص ، يمكن له ان يرفد ديوان الشعر العربي الحديث والمعاصر .. ونحن ننتظر منه المطلوب ..

اسماعيل عامود

التربية والتعليم أمانة

بقلم
محمد محمد بدوي وهبة

إن سلوك الإنسان مجموعة عادات ، وإن كل عمل جديد هو بداية عمل جديدة ، إما أن يستمر الإنسان فيها وإما أن يرجع عنها ، فالتربية هي غرس العادات النافعة ، والصرف عن العادات الضارة ٠

أما العلم فلا أعرفه لأن توضيح الواضحات من أشكل المشكلات والعلم كما يعرف الناس جميعاً هو نفي الجهل وليس هذا من قبيل تفسير الماء بالماء كالذي زعموا أن رجلا ادعى الشعر ، فامتحنوه أن يصف مجلسهم عند الغدير فقال :

كأننا والماء من حولنا
قوم جلوس حولهم ماء

فقالوا : فسر الماء بالماء ٠٠

إن ماقلت هو المعنى الذي يسرع إلى الذهن إن ذكرت كلمة العلم ، فمن عرف قضية كان يجهلها صار عالما بها ٠٠ ومن هنا فالتعليم هو محاولة نفي الجهل عن الطلاب وتعليمهم مالايعرفون ، وغذوهم بما يفيدهم من معارف شتى ، وليس كل من علم شيئا استطاع أن يعلمه ، وما كل عالم يصير معلما ، فالتعليم أن تختار الأسلوب الذي توصل به هذه المعارف إلى أذهان المتعلمين ، وذلك يقتضي معرفة بمدى إدراك الطالب ، فلا تكلفه بما هو فوق إدراكه ، وبمدى قبوله ماتلقيه عليه ، وإلا أغلق ذهنه دونك ، فقرعت باباً لا يفتح أبداً ، وأن تزيح من طريقه العوائق التي تعيق فهمه عنك ، وينشغل بها عما تقول ، ومن هذه العوائق مايكون فيك أنت أيها المدرس ٠

فلا ينبغي أن يكون في هيئتك ولا في لهجتك ولا في أسلوب معاملتك شيء غريب يقف فكره عنده ، فلا تستطيع أن توصل إليه ماعندك

وإن من أظهر المسؤوليات التي اهتم بها

الإسلام ولعل الشرائع كلها - وحض عليها ووجه الأنظار إليها مسؤولية المربين تجاه من لهم في أعناقهم حق التعليم والتوجيه والتربية ٠٠ فهي في الحقيقة مسؤولية كبيرة وشاقة وهامة ، لكونها تبدأ منذ سني الولادة إلى أن يدرج الولد في مرحلتي التمييز والمراهقة ، إلى أن يصبح رجلا سويا ولا شك أن المربي سواء أكان معلما أو أبا أو أما أو مشرفا اجتماعيا حين يقوم بالمسؤولية كاملة ويؤدي الحقوق بكل أمانة وعزم ومضاء على الوجه التام يكون قد بذل قصارى جهده في تكوين الفرد بكل خصائصه ومقوماته ومزاياه ، ثم بالتالي يكون قد أوجد الأسرة الصالحة بكل خصائصها ومقوماتها ومزاياها ، ويكون كذلك من حيث يعلم أولا يعلم ، قد أسهم في بناء المجتمع المثالي الواقعي بكل خصائصه ومقوماته ومزاياه لتكوين الفرد الصالح والأسرة الصالحة ٠

ونحن لو تتبعنا آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم في إهابتها بالمربين للقيام بمسؤولياتهم وتحذيرها إياهم إذا قصروا بواجبهم ، لو تتبعنا ذلك لوجدناها أكثر أن تحصى وأعظم من أن يستقصى وما ذاك إلا ليعلم كل مرب ضخامة أمانته وعظم مسؤليته ٠٠

يقول عليه الصلاة والسلام : " لئن يؤدب الرجل ولده خيرمن أن يتصدق بصاع " ٠٠

ولهذا اعتنى المربون جيلا بعد جيل بتربية الأولاد وبتعليمهم وتوجيههم وتقويم اعوجاجهم ، بل كان الآباء والأوصياء يختارون لأولادهم أفضل المعلمين تعليما وتأديبا ، وأحسن المؤدبين إرشاداً وتوجيهاً٠٠ ليقوموا بأداء المهمة على وجهها الصحيح في تنشئة الولد على أساس العقيدة والأخلاق وتعاليم الدين الحنيف ، فقد روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له : " ليكن أول ماتبدأ به من إصلاح بنيّ إصلاحَ نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ،فالحسن عندهم ماستحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم سير الحكماء ، وأخلاق الأدباء وتهددهم بي ، وأدبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولا تتكلن على عذز مني ، فإني قد اتكلت على كفاية منك "٠

وروى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين الى المؤدب قال له :

" إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك له واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، وأقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، ورره الأشعار وعلمه السنن ، وبصره بواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، ولا تحرك بك ساعة إلا أنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة ٠

ولا شك أن مسؤولية التربية العقلية بالغة الأهمية والخطورة ، ولنذكر أن أول آية نزلت في القرآن هي " اقرأ باسم ربك الذي خلق " وما ذاك إلا تمجيد لحقيقة القراءة والعلم ، وإيذان لرفع منار الفكر والعقل وفتح لباب الحضارة على مصراعيه ٠٠

ولعل من أسباب نجاح المعلم هو :

١- استيعاب المادة التي يدرسها ، والإحاطة بها ، والرجوع إلى كل كتاب يصل إليه من كتبها ، لا يقتصر على الكتاب المقرر ٠

٢- أن يسلك إلى أفهام الطلاب كل سبيل فإن ساق المسألة بعبارة لم يفهموها بدل العبارات حتى يصل إلى العبارة التي يستطيعون أن يفهموها ، وما دامت مسائل العلم في ذهنه وكلمات اللغة بين يديه سهل عليه ذلك ٠

٢- على المعلم أن يكون طبيعيا فإن لم يعرف المسألة قال للطلاب إني لا أعرفها ، وإن أخطأ قال لهم إني أخطأت فيها ·· ولا يظن أن هذا يقلل من شأنه أمام .تلامذته بل على العكس فذلك يكسبه احترامهم وتقديرهم ·· ويستفيدونه درساً بليغا هاما ··

والصدق أقرب طريق لا سيما مع الأطفال إلى بلوغ المرام وكسب الاحترام .

فيا أيها المدرسون والمعلمون : إن أولادنا أمانة بين أيديكم فأحسنوا المعاملة معها وأحسنوا إليها

محمد محمد بدوي وهبة

ميت يتكلم

رجاء قنطاقجي

تعطت السيارة في الطريق ، وكانت تحمل تابوتا فارغا ، ولم يكن أمام صاحبها إلا أن يركب باصا مزدحما بالركاب ، ويضع التابوت فوق سحطه .

في تلك اللحظة وصل راكب في عجلة شديدة ، وتسلق الى سطح الباص وقبع الى جوار التابوت ، وبعد دقائق قليلة تساقط المطر رذاذا ثم اشتدت غزارته ·· ولما لم يكن لدى الراكب الجالس فوق سطح معطف يقيه البلل ، فقد قرر في فلسفة أن يحتمي من المطر بالدخول الى التابوت .

وفي المحطة التالية كان راكبان في الانتظار، ولما لم يجدا لهما مكانا بين الركاب فإنهما اضطرا إلى التسلق إلى سطح الباص ، وكان التابوت يشغل مساحة كبيرة فحاولا أن يزحزحاه قليلا، ولكنهما فهما من ثقله أنه يحوي جثة ، فقبعا إلى جانبه في خشوع شديد ··

وبعد فترة وجيزة فوجيء الرجلان بمشهد اصطكت له أسنانهما فزعا وانخلعت منه أفئدتهما رعبا ·· فقد لاحظا أن غطاء التابوت يتحرك إلى أعلى في بطء ·· وبينما كانا يحملقان الى الغطاء وقد شل الفزع كل قدرة لهما على التفكير السليم·· إذا بصوت من داخل التابوت يقول : هل توقف المطر عن الهطول ؟؟

وفي هذه اللحظة لم يشعر الرجلان إلا وهما طائران في الفضاء ·· ثم فقدا الوعي على اثر الصدمة القوية التي لحقت بهما من جراء سقوطهما على الأرض بينما كان الباص يسير في اقصى سرعته ··

التراث والثقافة
في مهرجان الجنادرية الثامن
« أدب الطفل »

عبداللطيف الأرناؤوط

كان المهرجان الوطني الثامن للتراث والثقافة في الجنادرية(١) ٠ علامة متميزة أثارت اهتمام الأدباء والمفكرين والمثقفين في العالم العربي٠٠ بما قدمه من فعاليات متنوعة وأنشطة مختلفة(٢) اتسمت بمواكبة التطور الحضاري والثقافة المعاصرة ٠٠ والحرص على تعميق رسالة الموروث الشعبي وعلاقته بالابداع الفني والفكري بهدف ابراز الدور الثقافي الأصيل لأمتنا بوعي عميق ونظرة ثاقبة وادراك قوي ٠

إن ربط الثقافة المعاصرة بالتراث المجيد ٠٠ يفتح أمام الأجيال المتعاقبة الصور الخالدة المضيئة التي يزخر بها تراثنا الضخم والذي يجب أن نحييه بمزيد من الوعي المتجدد ٠٠ والتأكيد على أهميته والعمل على صيانته والحفاظ على سماته وابراز ملامحه النبيلة ٠

وقد أبرز الشيخ [عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري](٣) في كلمته أبعاد الجانب التراثي في المهرجان فقال :

(يجمع هذا المهرجان في خيمته من بطون الأودية والأحداث والتاريخ في شبه الجزيرة العربية ما كان لهذا الشعب من تراث صعوداً وراء التراث العربي الاسلامي ٠٠ بتراث واحد يعتز به كل عربي ومسلم . وينفي عنه الدخيل والفاسد ٠٠ فكل من ليس له ماض من القيم والمثل العليا عليه علامة استفهام في

عالمنا العربي والإسلامي بعيدة وقريبة الظنون من حوله تُسائل الماضي عنه ٠٠ هل تعرفه ٠٠؟؟ هل له معك نسب ؟؟ هل له نصيب في مكارم الأخلاق والسلوك الأمثل ، فما تعانيه أمتنا الاسلامية من تصدع وخلافات وجروح سببه كله الدخيل على تراث أمة الاسلام من مكائد الأعداء، وهذا ما يشغل اليوم تفكير العالم والمفكر والمثقف وكل المخلصين على وجه الارض لتراث الأمة) ٠

كما شرح الدكتور (عبد الرحمن سبيت السبيت)[٤] أسباب اختيار قرية الجنادرية لاقامة نشاطات المهرجان ٠٠ فقال :

[ان المهرجان الوطني للتراث والثقافة قد ارتبط بالجنادرية كموقع ثابت ومتكامل بالتجهيزات الكاملة لنقل الصور التراثية بالمملكة ٠٠ وتقع ـ قرية الجنادرية ـ في موقع وسط يتيح لجميع سكان المناطق المشاركة فيه والوصول اليه] ٠

ويرتكز ملتقى الجنادرية على قاعدة متينة من التراث الأدبي والثقافة ذات الهوية المتعلقة بالأرض والوطن ٠ بهدف إيجاد تواصل بين حاضر الأمة وماضيها ٠٠ وكانت اللحمة البارزة للمهرجان الثامن ٠٠ الندوات المتخصصة عن « أدب الطفل » ٠

فقد أكد الدكتور (عبد العزيز بن عبد الرحمن الشعيل)[٥] ذلك الهدف بقوله : [في هذا العام حدد أدب الطفل محوراً مطروحاً لنقاش ظواهر هذا الأدب من مختلف الأدباء في العالم العربي ، وإن طرح موضوع « أدب الطفل » هو استكمال لما قدمه المهرجان من دراسات وأنشطة للطفل خلال الدورات السابقة..كالمسابقة الثقافية ومرسم الطفل ٠٠ وألعاب الجنادرية المقترحة ٠٠ وهذا يدل على أن المهرجان يعتبر الطفل نصف الحاضر والمستقبل كله) ٠

لقد تضمنت أنشطة المهرجان الثامن لهذا العام ١٤١٣ هـ ٠٠ ندوات ثقافية متخصصة حول الموروث الشعبي وعلاقته بالابداع الفني والفكري في الوطن العربي ٠٠ وكان مدار البحوث التي قدمها المفكرون والمثقفون عن (أدب الطفل) ٠٠ مستمدة من تجاربهم الخاصة واطلاعاتهم العامة ٠٠ وهي :

١ ـ السيرة الشعبية في أدب الطفل :

للأستاذ : أحمد سويلم

طرح المحاضر في مقدمة تناول عدة تساؤلات شائكة وجسورة أظهرت مدى

أهمية المشكلة موضوع الدراسة ، فاذا كانت السيرة الشعبية تمثل جانباً مهماً ملامح الثقافة العربية ورافداً كبيراً مـن الموروث الشعبي لهذه الأمة العريقة فا أي مدى يصلح أن يقوم هذا الرافد لأطفالنا ؟ وما الجدوى التي يجنيها الطفل استعادة قراءة السير الشعبية ؟ وهل مـن الصواب أن تقـدم السـيرة الشعبية ا الطفل ملخصة أو سيرة أو كمـا هي أو علينا أن تقدمها في ضوء العصر ؟•

وفي نهاية عرضه قدّم مثالاً تطبيقياً للسيرة الشعبية من خلال سيرة عنترة

احمد سويلم
مـن مصـر يهتـم بـأدب الأطفـال والدراسات الشعرية كتـب ١٦ عمـلا لأطفال

بدأ الباحث [أحمد سويلم] حديثه باعطاء الحضور فكرة عن السيرة الشعبية فقال: انها حكاية شعبية طويلة ذات حلقات وفصول وهي تشمل حقائق لا سبيل ال نكرانها، وتشمل كذلك خرافات أو خيالاً محضاً لا سبيل الى إثباته •

ويراوح اسلوب السير بين النثر والشعر ويدور حول البطولات والفروس والحرب •

ومن أهم أبطال السير الشعبية المعروفين عنترة بن شداد وسيف بن ذي يـز وأبو زيد الهلالي والأميرة ذات الهمة والظاهر بيبرس •

وقد جاءت السير الشعبيـة تصويراحياً للبطل العربي الذي لا يقهر، وتتضا هذه الصورة مع الأبطال الذين يحاربون الشر الذي يرمز له ، ويمس في كل الس بالكفر والخروج على الدين •

فكأن فكرة الخير والشر قد تشكلت في هذه السير تشكلا إسلاميا مع العقيد الاسلامية ولا تعارضهـا ، ولهذا تقسـم السير الى عالمـين : عالم المؤمنين وعالـ الكفـار •

ثم قال : ان السـيرة الشعبية تعد مصدراً من مصادر أدب الأطفال وبالر من أن السيرة الشعبية التي وصلت إلينـا قليلة العدد . إلا أن الكتاب أقبلوا عليه يقدمونها في أشكال مختلفة من التبسيط والقيم القديمة •

ثم انتقل بالحديث الى ما توصل اليه بعض الباحثين حول أهمية السيرة الشعب بالنسبة للطفل مؤكـداً أن السيرة هي أهـمّ الأشكال التي تصلح للطفل ، وه تعد الحلقـة الكبرى في التراث الأدبي الشعبي •

فالسيرة تقدم صورة اجتماعية كاملة تسمح بأن تكون متطورة مع الزمن، وهذ السمة بالـذات هي التي تغـري الكاتب بتقديم السيرة الشعبيـة برؤى مختلف للكبار والصغار على السواء •

وحول القوالب التي يمكن أن تقدم فيها السيرة الشعبية للأطفال قال الباحث: أن ذلك يأتي في أحد القوالب الآتية :

- الصورة الدراسية السريعة ·
- تقديمها في قصص قصيرة ·
- التعبير عنها ·
- وسائل الاعلام المرئية والمسموعة ·

وأكّد الباحث على أن كل هذه القوالب لا بد أن تُقدم في صورة تحترم عقلية الصغير وما يتناسب مع مرحلة عمره ومستوى إدراكه وثقافته ·

وبعد ذلك عرض المحاضر نموذجاً تطبيقياً للسيرة الشعبية التي يمكن تقديمها للطفل وهي سيرة عنترة بن شداد، أما لماذا اختار الباحث سيرة عنترة ولم يختر غيرها كنموذج ؟ فهذا ما أجاب عليه بنفسه عندما قال : إن ذلك كان ··· لأن هذه السيرة هي أول الأعمال التي عرفها تراثنا الأدبي ولأن بطلها شاعر جاهلي معروف ، كما أن له دوراً مشهوراً في الدفاع عن بني عبس ضد بني ذبيان · إن سيرة عنترة ترسم مكانة الفارس العربي في مجتمعه ، وهي بذلك تعد نموذجاً للأدب الذي يشعل وهج العزيمة في وجدان الصغار وهم يتمثلون شخصية البطل الذي يرفض الهزيمة في كل المواقف ،والعزيمة والارادة القوية من القيم التي ينبغي أن نربي عليها أبناءنا ·

وفي نهاية عرضه قال : إن قصدنا من هذا أن نلقي الضوء على سيرة عنترة لنستشف منها قيمها ، وما يمكن أن تضيفه الى عقله الصغير في عصرنا الحديث ·

وأرجو أن تعطي محاولتي هذه بعض المؤشرات من أجل إصلاح شخصية هذا الكائن البريء الذي أصبحنا نخشى افتقاده لبراءته في ظل قسوة الحياة ، وتغير القيم والانفتاح على كل ما يقتحم شخصيته بلا ضابط أو أحكام ·

* * *

المداخلات والتعقيبات :

وأبرز المداخلات حول بحث (السيرة الشعبية في أدب الطفل)كان تعليق الأستاذ عبد الحميد أحمد ·· فقد تحدث عن اهمية الموضوع القصصي الذي يقدم للطفل، وأشار الى أن هناك كماً هائلاً من السير الشعبية مثل: أبو زيد الهلالي والزير

سالم ، والسندباد ، وعلي الزيبق ، بالاضافة الى الكثير من الموروثات الشعبية والأعمال الأدبية الأخرى ٠

وتطرق الى أدب الطفل ، وقال : إنه لم يكن معروفاً عند الغربيين ، ولم يكتب عن أدب الطفل ، حيث لم يقبل الكتاب على مثل هذه الأنواع من الانتاج الأدبي، وتباروا في تقديمه القصصي للكبار فقط ٠

وأشار الى عدد من الملاحظات حول موضوع الندوة ومن ذلك :

- إن السيرة الشعبية توجد بكثرة هائلة إلا أن توظيفها في أدب الطفل قليل جداً ٠
- بينما نجد أن الكتاب الغربيين اعتمدوا على الموروث الشعبي العربي ونحن كعرب مقلدين لهم في بعض قصصهم ٠
- ما تزال الترجمات التي كتبت عن أدب الطفل هي جهود فردية ، ولم تتبنها مؤسسات ودور نشر متخصصة ٠
- لا بد أن تتولى المؤسسات التعليمية والاعلامية دعم أدب طفل وانتاجيته حتى يكون لدينا أدب أطفال على المستوى المطلوب ٠

★ ★ ★

٢ ـ نظرة مستقبلية في أدب الأطفال :

للأستاذ : عبد التواب يوسف

استعرض المحاضر الأستاذ عبد التواب يوسف في محاضرته جوانب أدب الأطفال في الماضي والحاضر مع استشراف مستقبل هذا الأدب ، وأكد أن ماضي أدب الطفل وخاصة بعد عصر الحضارة العربية والاسلامية هو ماضٍ ثري أمدّ الانسانية بكنز رائع من الحكايات التي امتلأت بها كتب التراث ٠ وكان هذا الماضي ارهاصاً لما يقدم في الحاضر ٠

وانتقد هذا الحاضر الذي اعتمد في رأيه على صياغة ما انتجه السابقون فقال : ان مأساة أدب الأطفال في الحاضر تتمثل في ركون بعضهم الى صياغة القديم فحسب ٠

وذكر ان أدب الأطفال بدأ شعراً على يد أحمد شوقي ونثراً على يد كامل الكيلاني (١٩٢٧ م) ٠

عبد التواب التواب من مصر يهتم ببحوث أدب الأطفال ، من نتاجه للطفل ٢٠٠ قصة و ١٠ كتاب في ادب الطفل ٠

وازدهر أدب الأطفال في الغرب ازدهاراً كبيراً ، ويتبدى ذلك في ما يزيد على ثلث مليون كتاب في مكتبة واحدة فيميونخ بألمانيا • وذهب المحاضر الى أن المأساة الحقيقية في انفصام أدبنا للأطفال عن الأدب العالمي ! وطالب بأن نرصف جسوراً بيننا وبين كتاب الأطفال المرموقين على المستوى العالمي •

فليس هناك كاتب واحد عالمي معروف للناس غير [اندرسون ولويس كارول] • وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح هناك سيل ينهمر من الأعمال الأدبية الرائعة التي لم تصل الينا ، بل ليس لدينا من يعرف اسم فائز واحد بجائزة أندرسون • هذا الأدب لم يصل الينا ، في حين ألحت علينا المؤسسات التجارية التي تبيع لنا انتاجها الذي هو في تقديرنا تدمير لهذا الأدب (والت ديزني وغيره) الذي يغفل الاحتياجات الضرورية للأطفال ، الأمر الذي جعل النقاد يوجهون اليه انتقادات حادة •

وحول مستقبل أدب الأطفال ذكر المحاضر أن مستقبل أدب الأطفال العرب يعتمد على ظهور « مبدعين » جدد وفي الوقت ذاته على انتهاء عهد اللصوصية في هذا الأدب والذين يغلقون الطريق أمام هؤلاء المؤلفين •

ولا بد من الكشف المبكر عن المبدعين ورعايتهم ومنح التفرغ لهم ، ولن يتأتى ازدهار الأدب إلا إذا لقي تشجيعاً حقيقياً ، ووضعنا أيدينا على الأدب المبتكر •

إن أمريكا وحدها يصدر فيها سنوياً خمسة آلاف كتاب للطفل ، ولا ندري في عصر انفجار المعرفة كيف يكون المستقبل هنا ؟! •

وقال إننا نعني أدب الأطفال شعراً ونثراً •• قصة ورواية •• تمثيلية ومسرحية ، وليس أدبيات الأطفال وما يكتب لهم من معارف ومعلومات •

ثم انتهى من استعراضه الى تناول الأدب الاسلامي للأطفال وذكر أن الكتابات الاسلامية ما تزال قاصرة على التاريخ الاسلامي والسير والبطولات أما كاتب الأطفال الاسلامي الذي يكتب عن العقيدة والقرآن الكريم والحديث والقيم فهذا نادر ، وتمنى أن تأخذ هذه الموضوعات طريقها في المستقبل الى أدب الأطفال الذي نحرص فيه على ترسيخ القيم الاسلامية في نفوسهم •

★ ★ ★

المداخلات والتعقيبات :

وعلق الأستاذ نجيب الرفاعي على المحاضرة •• فقال :

من خلال التجربة الفنية التي خضتها مع الأطفال في التليفزيون ، برزت لديّ تصورات عديدة مؤداها أن هذا الجهاز يمكن أن يخدم قضايا الطفل بطريقة إبداعية متميزة إذا توفرت الامكانات، واخترت الشخصيات التي توظف من أجل إيجاد مادة أدبية للطفل العربي ·

وبعد هذا التعقيب القصير تحدث الأستاذ محمد بن سعد بن حسين ، فأشار الى ضرورة ترسيخ المفاهيم الاسلامية في عقول الأطفال من خلال المادة القصصية، وتقديم ذلك بأسلوب سهل وشائق وأكد على أهمية تنمية القدرات اللغوية عند الأطفال وتحبيب العلم والعلماء إليهم · وقال: إن كتاب أدب الطفل يقع عليهم جزء من المسؤولية للقضاء على حالات الاضطراب والقلق التي تحدث عند الأطفال في عالمنا العربي والاسلامي ، وذلك العلاج يكمن في ترسيخ القيم الاسلامية في نفوسهم وتنشئتهم على قيم الصبر والسماحة والحب وغيرها، وهذا ما يحتاج الى كُتّاب متخصصين ·

٣ ـ القصة والمسرح في أدب الطفل :

للأستاذ : أحمد عبد السلام البقالي

تناول الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي (من المغرب) ما يتعرض له أطفال الأمة العربية من غزو أجنبي قد يتعارض جذرياً مع ما نريد أن نغرسه في نفوسهم من قيم دينية ومبادىء أخلاقية ، وحذر من وجود عدد كبير من الكتب الرديئة واللامسئولة التي أملتها الروح التجارية ·

أحمد عبد السلام البقالي : المملكة المغربية كتب الشعر والقصة وحكايات الاطفال له ٢٤ قصة للأطفال و ٢ دواوين شعرية للصغار

وأورد عدداً من المبادىء والأهداف التي تتحكم في تقنيات كتاب الطفل ، ومن ذلك غرس القيم الأخلاقية العالية وخلق عوالم جديدة وجميلة، وكذا تنشيط ملكة الخيال عند الطفل ، ومن ذلك أيضاً حرص الكاتب على أن يجعل من الطفل انساناً سوياً ينفع نفسه ومجتمعه في المستقبل وأن يحبب الى الطفل في كتاباته العمل اليدوي والمهارات العلمية ·

ثم انتقل للحديث عن الطريقة التي يكتب بها للطفل سواء في مجال القصة أو المسرح ·

وفيما يتعلق بهندسة البناء القصصي تناول الباحث الحدث في القصة وذكر منها التجارب الشخصية للكاتب ، وتجارب الآخرين وحكايات التراث والتاريخ واستثمار مملكة الحيوان لايراد القصص على ألسنة الحيوانات ·

وقال : انه ينبغي للكاتب وهو يكتب للأطفال أن يفرق بين مراحل الطفولة ، فمرحلة السن تتحكم في أسلوب الكتابة وطول الجملة وتراكيبها ، كما ينبغي أن

يراعي عامل جنس الطفل بحيث تخاطب لغة القصة الولد والبنت في آن واحد ٠

ولأن الكتابة للطفل المعاصر لم تعد مجرد حكايات وسرد لأحداث خيالية ومسلية ، فقد أكد المحاضر على أهمية أن يقرن كاتب أدب الأطفال التسلية بالفائدة بمعنى أن يكون ما يكتبه أدباً هادفاً وليس كما يقال « الفن للفن » ٠

وذكر مبدأ هاماً يتعلق بشعور الكاتب أثناء الكتابة ، فاذا كان متحمساً لما يكتب فان عدوى ذلك الشعور ستنتقل حتماً الى قرائه ، أما اذا أحس الكاتب أن الكتابة في وقت معين واجب ثقيل ، فالأحسن أن يتوقف عن الكتابة الى أن تعود الرغبة والحماس إليه ٠

ثم تناول عناصر الكتابة للطفل،ومن ذلك ، عنصر التشويق والصراع بين شخصيات ، والعقدة في القصة كذلك الحبكة وما تعنيه من ترتيب للأحداث بطريقة مشوقة ودقيقة ، ومن ذلك تقسيم القصة الى مشاهد ومقاطع وتحدث عن « الجوانب الفنية في اخراج كتب الأطفال » وهي كما قال : عملية تكمل العملية الابداعية للكاتب ، إذ لا بد أن يجد الطفل بين يديه قصة تحتوي على مادة قصصية جديدة : وفي الوقت نفسه مخرجة بطريقة شائقة وجذابة وبخاصة أغلفة القصص التي تعتبر باب القارىء الى ما في داخله ٠

ولم ينس أن يذكر بارتفاع أثمان كتب الأطفال والذي أرجعه الى ارتفاع تكاليف انتاج مثل هذه الكتب ، الأمر الذي أدى الى انصراف قاعدة عريضة من الأطفال العرب عن الكتاب وانجذابهم الى وسائل أخرى قد لا تغني عن الكتاب ٠

وبهذا الخصوص أوصى المحاضر المسؤولين عن التعليم والثقافة والاعلام والشبيبة ببلادنا العربية أن يخصصوا ميزانيات كافية لتشجيع الابداع في مجال الطفل ، وكذلك تشجيع الناشرين على طبع أكبر عدد من النسخ بحيث يصبح سعر النسخة في متناول الطفل الفقير ٠

ولأن المسرح يعتبر أداة تربوية وتثقيفية ممتازة بالنسبة للطفل ، فقد تحدث عنه ضمن تناوله لموضوع تقنية الكتابة للطفل ٠٠ فذكر أن لمسرح الطفل خصوصيات وفوائد وانعكاسات تربوية نفسانية لا توفرها له مصادر أخرى ٠

ومن هذه الفوائد : غرس قيمة العمل الجماعي ، تشجيع الطفل على المشاركة مع الآخرين في العمل المسرحي،وهي العملية التي تلقنه درساً في جدوى التعاون مع الآخرين في انتاج شيء جميل وكبير ٠

كما يتعلم الطفل من هذا العمل التضحية بوقت فراغه وشغله في عمل مفيد ، فضلاً عن روح المسئولية التي يتعلمها الطفل ·

وخلص المحاضر الى أن لمسرح الطفل مكاسب تربوية ومعرفية كثيرة ، وهذا ما يحتم علينا أن نأخذ مسرح الطفل بكامل الجدية وأن نوليه مزيداً من اهتمامنا وقال : إنه إذا كانت المؤسسات التربوية حريصة على شغل وقت الأطفال بما يفيدهم ، فان اقامة المهرجانات المسرحية أثناء العطلات الدراسية أمر مفيد للغاية، فضلا عن تراكم الأعمال المسرحية الناجحة سيضيف الى تراثنا الثقافي العربي اضافات مشرفة قد تصبح عبر الزمان في مقام المعلقات ، أو غيرها من النفائس والذخائر الثقافية العربية ·

★ ★ ★

المداخلات والتعقيبات :

وعلق الأستاذ (أحمد نجيب) فأشار في معرض حديثه الى ما أسماه بالقطيعة التي قامت منذ زمن بين المثقفين والكتاب المبدعين قال : لقد ذكر الأستاذ البقالي أنه لم يعثر على أي كتاب يتناول التقنية الحديثة في الكتابة للأطفال ، في حين أن كثيرين من الأدباء كتبوا في هذا المجال وأكد على أهمية الاعتبارات والاعتبارات الابداعية لدى الطفل بحيث لا نستخف بما يقوله أو يفعله الطفل ·

أما الأستاذ (علوي الصافي) فقد ركز في تعليقه على اسراف الأستاذ عبدالسلام البقالي في استخدام الكلمات والمصطلحات باللغات الأجنبية ، وشدد على ضرورة متابعة المنظومة الاجتماعية في المجتمع والتي يشكل الطفل أهم أعضائها بحيث نكشف مواطن الخلل في هذه المنظومة ، ونقدم لها العلاج اللازم ·· ثم علق الأستاذ (محمد حسن بريغش) فأكد على ضرورة تقديم الأعمال التراثية التي كتبت عن الطفل ، فقد وردت بعض الكتابات عن الطفل وأدب الطفل في كتب السيوطي ، والمبرد والجاحظ ، والغزالي وغيرهم ·

وقال : إن أهم الوسائل التي تعكس التقدم الحضاري والأخلاقي لأي أمة هو اهتمامها بالأدب ، خاصة اذا كان هذا الأدب يجسد القيم والأمور العقائدية كما نأمل أن يكون عليه أدب الطفل عندنا ·

٤ ـ الشعر والأغنية في أدب الطفل :

للدكتور : ابراهيم أبو عباه

د : ابراهيم أبو عباه
من السعودية اهتم بأدب الطفل والفكر الإسلامي والشعر كتب الشعر للطفل والشبان

بدأ الدكتور [ابراهيم أبو عباه] بحثه بتحديد معنى الطفولة ومراحلها مشيراً الى أن سن الطفولة تمتد من ساعة خروج المولود من بطن أمه الى أن يبلغ الحلم، ويصبح مخاطباً بالتكاليف الشرعية .. وأضاف قائلا : إن هذه المرحلة من حياة الانسان تعد من أخطر المراحل وأهمها ، ففيها تنمو مداركه وتقوى حواسه ، وهو في هذه السن أرض خصبة تقبل كل ما يلقى فيها إن خيراً وإن شراً .

ثم تحدث عن أهمية أدب الطفل فذكر أن الأدب بالنسبة للطفل في مراحل عمره الأولى مطلب ملح وحاجته إليه شديدة ، وذلك لأسباب عدة منها :

- أن هذا الأدب يسلي الطفل ويشعره بالمتعة وينمي هواياته .
- يعرفه على البيئة التي يعيش فيها .
- يسهم في اطلاعه على أفكار وآراء الكبار .
- ينمي القدرات اللغوية عنده .
- يسهم في النمو الاجتماعي والعقلي، والعاطفي له .

وقال : إن الأطفال حظوا بقسط وافر من أدب الطفولة في تاريخنا الاسلامي والعربي .. ونجد ألوان هذا الأدب في قصص الأخبار والمغازي وحكايات الأبرار والصالحين ، ونجدها فيما ورد في القرآن والأحاديث النبوية من قصص ، وكذلك قصص الفتوحات الاسلامية ، وقصص الأسفار والتجار ، وبعض قصص الجن والملائكة ، وقصص على لسان الحيوانات والطيور وغير ذلك .

وعرج المحاضر للحديث عن الشعر والأغنية فأكد أن الشعر والأغنية والنشيد لون من ألوان الأدب وشكل من أشكاله الجميلة والمحببة الى عقلية الطفل . والأطفال يحبون الشعر ويطربون لأنغامه وان لم يفهموه في سنيهم الأولى، وتحرص الأم (كل أم) على هدهدة طفلها بالكلمات الموزونة المقفاة ذات اللحن أو الايقاع، ويشعر الطفل عند ذاك بالرضى والارتياح ، وعندما يكبر يحفظ بعض الأشعار ذات البحور القصيرة إذا سهل لفظها ومعناها .

وأضاف قائلاً : لقد أدرك العرب القدماء بفطرتهم النقية الأصول التربوية التي تدخل على صغارهم الفرحة والبهجة فقدموا لهم من شعر المناغاة ما يوفر لهم صفاء النفس وهدوء الخاطر ، وحرصوا على نظم الأبيات الشعرية الخفيفة التي

تترنم بها الأم من أجل تنويم صغيرها أو أثناء لعبه ٠

ثم قدم نماذج من هذه الأشعار ، ومن ذلك ما قالته هند بنت عتبة وهي تلاعب صغيرها « معاوية » :

إن بني معرق كريم　　محبب في أهله حليم

ليس بفحاش ولا لئيم　　ولا بطخرور ولا سئيم

ومما قاله الزبير بن عبد المطلب وهو يرقص ابنته أم الحكم :

يا حبذا أم الحكم　　كأنها ريم أحم

يا بعلها ماذا يشم　　ساهم فيها فسهم

وأشار الى كلمة الأغنية الواردة في عنوان المحاضرة ٠ وقال : هي جمع أغان ومصدرها الغناء ، وكل من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غناء ٠

وفي حديث عائشة رضي الله عنها ٠٠« وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث » أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعاث ٠٠ ولم ترد الغناء المعروف بين أهل اللهو واللعب ، وقد رخص عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غناء الأعراب ، وهو صوت كالحداء ، أما إذا صاحبه شيء من آلات اللهو والموسيقا فانه حينئذ يكون محرماً كما يفتي بذلك كثير من علماء الأمة المعتبرين ٠

وأضاف المحاضر قائلا : إن ما دفعني الى هذا الايضاح والتنويه ما رأيته في بعض الكتب التي تناولت أدب الأطفال من تساهل كبير في مسألة الموسيقا ، وأنه جزء مكمل للأغنية لا تنفصل عنها ٠

ثم قال:أما موضوعات شعر الأطفال فمنها : الشعر التوجيهي والتربوي ومنها الشعر والنشيد الوطني ، والشعر الاجتماعي ، والشعر الترفيهي ٠

وانتقل للحديث عن العصر الحديث فقال: إن هذا العصر شهد تطوراً في شعر الطفولة واتخذ أشكالاً متعددة كرس القائمون عليها جهدهم لاخراج شعر يتلاءم مع الأجيال الجديدة ٠ ويعد الشاعر أحمد شوقي رائداً في مجال شعر الأطفال خاصة ما كتبه من قصص شعري على لسان الحيوان ، وقد سبق شوقي في طرقه الحكاية على ألسنة الحيوانات الشاعر محمد عثمان ، خلال عام ١٨٩٨م ٠ إلا أن الخطوة كانت كبيرة في مسيرة شعر الأطفال لم تكتمل وتنضج إلا عام ١٩٢٢ م على يد الشاعر محمد الهراوي ٠ ثم جاء الكاتب كامل الكيلاني الذي حرص فيما

كتبه للأطفال شعراً ونثراً على غرس القيم الدينية والاجتماعية ·

واختتم المحاضر عرضه بالحديث عن أهداف شعر الطفولة فأكد : أن للشعر وظيفة ورسالة ينبغي أن يسعى جاهداً الى إيصالها الى جمهور المتلقين ، وتأتي هذه الرسالة امتداداً لرسالة الاسلام في هذه الحياة ·

فالتسلية البحتة أمر مرفوض ، وهي ليست هدفاً في حد ذاته ، ولكنها مطلوبة في سياق الأهداف الأسمى التي منها : إثراء خيال الطفل وبناء شخصيته وتنمية الذوق ، والحس عنده وغرس القيم الدينية والمبادىء الخلقية في نفسه ·

ثم قال : ويظل شعر الأطفال شعراً ملتزماً بقيم الاسلام وتصوراته شأنه شأن الأدب الاسلامي بصفة عامة ومن هذا المنطلق يستطيع الشعر أن يؤدي وظيفة هامة ذات أبعاد عقدية ، وجمالية وشعورية ووجدانية وفكرية ·

* * *

المداخلات والتعقيبات :

كانت للأستاذ « علي الصقلي » إضافة أكد فيها أن الأغنية تدور على ألسنة الآلاف من الأطفال لذلك يلزم التحري في تأليفها حتى تكون سالمة من كل ما يخدش الدين والأخلاق ،وما يفسد الذوق ويسيء الى الجمال ·

وقال : إن واقع شعر الأطفال يحمل لنا الغث أكثر من السمين..لغة ضعيفة.. أسلوب هزيل .. اجترار وتكرار وخلل في الأوزان والقوافي .. أما الناشرون فمازالوا يتاجرون بشره في كتب الأطفال دون اكتراث بمستوى ما يعرضون من أشعار ودواوين ·

وخلص الى أن ترجمة بعض الأغاني شعراً الى العربية أمر لا بأس به ، شريطة أن تكون حاملة لمعان انسانية سامية ، وأن تلبس حلة عربية قشيبة لا تسمح بشم رائحة الترجمة الرديئة لفظاً وتعبيراً !!

* * *

٥ ـ المنعطفات الرئيسة في تطوير أدب الطفل :

للدكتور : علي الحديدي

استهل الباحث الدكتور (على الحديدي) حديثه بايراد مقدمة قصيرة حول

اهتمام الحضارات القديمة بالطفل نظراً لوجود المفاهيم الخاطئة حول الطفولة ، وأكد أن الحدث البارز هو ظهور الاسلام الذي غير الكثير من مفاهيم المجتمعات القديمة حول الطفولة ، فكانت تعاليم الاسلام وآراء علمائه ومفكريه كانت تطوراً حقيقياً في تاريخ الأطفال ٠

ورغم هذا الاهتمام الذي أولاه العلماء العرب المسلمون للأطفال في تعليمهم وتربيتهم إلا أن اهمال الأطفال كان شديداً من جانب الأدباء فقد أسقط الأدباء العرب الأطفال من حسابهم ، وأهملوهم اهمالاً كاملاً فيما يقدمون من فنون أدبية ٠

د٠ علي الحديدي من مصر كتب بحوثا عديدة عن أدب الطفل واثره في تربية الناشئة ومحنة أدب الأطفال العربي وأدب الاطفال بين الحكاية الشعبية والابداع الشعبي ٠

وأضاف المحاضر قائلا : أن الكتابة للأطفال لم تكن حتى وقت قريب مألوفة أو مستساغة بين الأدباء ٠

وتتبع مسيرة أدب الأطفال التاريخية أولاً : من منظور عالمي ، وذلك من خلال منعطفات ثلاثة : في نهاية القرن السابع عشر . وبعد الحرب العالمية الأولى ثم بعد الحرب العالمية الثانية ٠

وانتقل الى الحديث عن مسيرة أدب الأطفال في لغتنا العربية فتحدث عن العصور القديمة التي ظلت قصص الأطفال مستمدة فقط من قصص الكبار ، ولم يكن هناك أدب مميز للأطفال ٠

ومع نهاية القرن التاسع عشر اجتاز أدب الطفل العربي المنعطف الأول عندما استقل عن أدب الكبار ، وذلك على يد الشاعر أحمد شوقي عام ١٨٩٨ م ٠

ثم دخل أدب الطفل العربي منعطفاً ثانياً منذ العقد الثالث من القرن العشرين على يد الشاعر محمد الهراوي ثم كامل الكيلاني ثم حامد القصبي ٠

وقال : ان من خلال النظرة العامة لما كتب من أدب الاطفال في الخمسينات والستينات نجده منوع الدم ، كثير العدد إلا أن اكثره كان مقتبسا او مترجما ٠

أما الأطفال السبعينات والثمانينات من هذا القرن ، فقد كانوا اكثر حظاً من جميع الأجيال السابقة حيث أخرج الناشرون طوفاناً غامراً من القصص والمسرحيات التي جادت بها قريحة أدباء الأطفال ، وإن ظل الاهتمام بالكم والعدد هو الغالب دون اهتمام بالملامح الرئيسة لأدب الأطفال، أو دون رعاية لما تحويه كتابات الأدباء من مضامين ضارة بأجيال المستقبل ٠

أما المنعطف الثالث من المنعطفات الرئيسة في أدب الطفل العربي فكما اكد الدكتور المحاضر فان بلادنا العربية لم تدخله دخولا حقيقيا وما زالت تقف

مترددة في أوله تحكمها العقلية التقليدية التي مازالت تنظر الى ادب الطفل نظرة غير جادة . فلم يأخذ أدب الأطفال طريقه الى الانتشار بين أجيال المعلمين العرب ، ولم يستهم العلماء المتخصصون في البحوث الأدبية ومقاييسها النقدية .

كذلك لم تقدم هيئاتنا العلمية والتربوية من الدراسات – إلا القليل – ما يرسم السبيل لمن يتصدى لأطفالنا .

ويحذر علماء النفس من أن ما تبنيه الأسرة والمدرسة والمجتمع ، يتهدم على يد الذين يكتبون للأطفال دون علم أو دراية بأوليات الأصول العامة لأدب الأطفال .

ويبدو أن الدكتور (علي الحديدي) قد قرأ على وجوه المشاركين والحاضرين صدى كلماته التي توحي بالتشاؤم واليأس من مستقبل أدب الطفل – رغم أنه يتحدث عن واقع حقيقي معاش – ولهذا حاول في نهاية حديثه أن يضيء بصيصا من الأمل عندما ذكر أن هناك فئة قليلة من الكتاب أهملوا في أدب الأطفال اللغة العربية للدخول مرة جديدة في مسيرته العالمية ، وتناولوا أدب الأطفال بنظرة جديدة ترى فيه وسيلة أدبية تهدف عن طريق التسلية والامتاع الى التعليم والتثقيف واضعين في حسبانهم النواحي النفسية والادراكية والزمنية والمكانية للأطفال ، فساروا بهذا اللون من الأدب قدماً في بلادنا العربية ومنحوه دفعات قوية من التطور ووصل بعضهم بنتاجه الأدبي للأطفال الى مستوى عالمي .

* * *

المداخلات والتعقيبات :

عقب الدكتور (محمد الديل) على المحاضرة .. فقال : بحث جيد متكامل عن الطفولة .. وأردف :

إننا أوغلنا بالحديث عن الاتجاهات. ولم نتكلم عن الابداعات في مسار اداب الطفل، والذي يتميز بالصعوبة والخطورة لحساسية هذا الموضوع . لذلك يجب ان يتنبه أدباء الأمة ومفكروها لادب الطفل. وخاصة الطفل المسلم وسط هذه التيارات المتصارعة فيجب أن نترك كل الأفكار الدخيلة ، وذلك عند الكتابة للطفل .

ثم تحدث بعد ذلك الدكتور (عبدالله بن صالح العريني) حول الموضوع المطروح ، بأن أغلب سكان العالم العربي والاسلامي هم في سن الشباب . وتمنى لو أن المحاضر قد تعرض لما يمكن أن يسهم في تطوير أدب الطفل على المستوى التاريخي ، ثم تحدث : عن المنعطفات التي تساعد على تطوير أدب الطفل . واسهب في الحديث عن المضمون في أدب الطفل الذي هو أهم المنعطفات في أدب الطفل

وركز على ضرورة الاتجاه للأدب الاسلامي عند الكتابة للأطفال ، ونوه الى ضرورة أن تقوم الجامعات بتدريس أدب الطفل ضمن مناهجها التعليمية واستعرض في نهاية تعليقه بعض ملاحظاته حول الورقة وايجابياتها .

وآخر المتحدثين في التعليق على المنعطفات الرئيسية في تطور آداب الطفل كان الدكتور (أحمد عطية زلط) فبدأ بالحديث عن المفاهيم في الأدب والفن ، وتحدث عن المراحل العمرية في أدب الطفل . كما ناقش الوظيفة في الأدب وأكد أن الجذور الاسلامية والعربية يجب أن تكون الوظيفة الأولى في أدب الطفل ، وتحدث عن أربعة منعطفات في أدب الطفل : ١ ـ المنعطف التراثي ، ٢ ـ المنعطف الخاص بالتدوين ، ٣ ـ منعطف البعث والاحياء الأدبي ، ٤ ـ المنعطف الرابع الذي نعيشه حالياً هو منعطف الترجمة والتأليف والاتجاه الوظيفي .

الهوامش :

- تم افتتاح فعاليات مهرجان « الجنادرية » الثامن الذي يقيمه الحرس الوطني سنويا .. في يوم الاربعاء ١٥ شوال ١٤١٣ هـ الموافق ٧ نيسان ١٩٩٣ وانتهى يوم الأحد ٢٤ شوال ١٤١٣ هـ الموافق ١٦ نيسان ١٩٩٣ وحضر حفل الافتتاح الأمير عبد الله بن عبد العزيز رئيس الحرس الوطني .. والأمير بدر بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطني ..

- اشتمل النشاط الفني على برنامج حافل .. أهم بنرده هي :

أ ـ العروض الفولكلورية والرقصات الشعبية .. لقد تضمن الحفل عروضاً للفرسان والهجن .. وفرق رمزية لأفراد الحرس الوطني .

ب ـ أغنيات وألعاب شعبية جسدت جوانب من حياة الانسان العربي .. والهدف من ذلك حفظ وتوثيق الألعاب الشعبية التي مارسها الأجداد .

ج ـ معرض الفنون التشكيلية .. الذي شكل بعداً فنياً وثقافياً لحركة الابداع الفني .

د ـ معرض الكتاب .. شارك فيه العديد من الجهات التعليمية والهيئات الخاصة والقطاعات الحكومية اضافة الى دور النشر في السعودية .

هـ ـ نشاطات أخرى مختلفة كالفروسية وسباق التحمل الأول ومعرض الوثائق والصور وغيرها .

- الشيخ بن عبد المحسن التويجري : باحث متميز يهتم بالثقافة التراثية .. ونائب رئيس الحرس الوطني المساعد .

- الدكتور عبد الرحمن سبيت السبيت : أديب مثقف .. وكيل الحرس الوطني للشؤون الثقافية والتعليمية .. ورئيس اللجنة العامة لمهرجان « الجنادرية » .

- الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن الشعيل : أديب مثقف .. يهتم بالثقافة التراثية .. وله اهتمامات بالآداب العالمية .. وهو المدير العام لادارة المهرجان الوطني للجنادرية .. له خبرة ممتازة في تنفيذ البرامج المتعددة للنشاطات المخططة .. وقد شارك سنوياً في برامج المهرجان منذ عام ١٤٠٥ هـ .. ويساعده في تحقيق نجاح المهرجان ثلة من الشبان المثقفين المتحمسين .. مثل الأستاذ (حسن عبد الله خليل) .. وغيره ..



معالم الالتزام في الأدب العربي

محمد غازي التدمري

على الرغم من الافتراضات الأيديولوجية والفنية التي واكبت حركة الأدب والفن ، بعد الحرب الكونية الثانية ، وموقف المبدع من قضايا الأمة التي أفرزتها المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وما نجم عن ذلك من حركات نقدية تناولت الإبداع الجماهيري ، الذي رفع شعار الانتماء والالتزام من أجل الرفض والتثوير والتغيير ، ليكون الإبداع جزاء من الواقع ، وليس صورة عنه ، مما فتح المجال لانتشار دعوات أدبية ونقدية ، انتهت إلى الواقعية ، والواقعية الاشتراكية.

وبالرغم من هذه الدعوات الصادقة التي أفرزتها المتغيرات السياسية والمستجدات الحياتية ، فإن فكرة الالتزام والانتماء في الأدب العربي ، لم تكن جديدة بمفهومها الدلالي والتعبيري والتناولي

فما وصلنا من موروث شعري يشير بشكل أو بآخر إلى مظاهر واضحة من الانتماء والالتزام ، بما كانت تفرضه الحياة المعيشة على الشاعر ، وبقدر ما كانت البيئة العامة تسمح به ، فبرز نوع من الشعر الملتزم بقضايا عامة ، قد تكون محدودة الهدف والغاية ، إنما تعبر عن موقف ما ، يمليه الواقع المعيش على الشاعر، فهو نوع من الشعر المنتمي لبيئة ما ، والملتزم بواقع معيشي محدد ، كان الشاعر فيه الصدق الأكثر قوة وارتفاعا ، مما ساهم بانتشار نوع من الشعر يمكن ان نسميه بشعر الموقف ، وهو نمط شعري أملته الافتراضات اليومية ، ومن الغبن أن نسميه بشعر المناسبة ، لأن الموقف العام كان مفروضا من داخل القبيلة وخارجها على حد سواء ، وهذه المحرضات المختلفة الأبعاد والمصادر والمرتبطة جميعها بنمط حياتي واحد ، هو الذي شكل المحرض الرئيس لموقف الشاعر ، ليس لأنه مرتبط بموقف افتراضي فحسب ، بل لأن الموقف ذاته غالبا من كانت تأتي دوافعه من داخل النفس الشاعرة ، لارتباطها الحميمي بالحياة الصحراوية عامة ، وبما كانت تعانيه من ضائقات اقتصادية واجتماعية ، ساهمت بشكل ما ، بانتشار هذا الصوت المرتفع الذي كان أداة تعبير وإعلام .. وإعلان عن موقف هو بالأساس موقف الجماعة التي ينتمي إليها ، وهذا ما شكل الملامح الأولية لبداية فكرة الانتماء والالتزام ، التي نراها واضحة في شعر الجاهلية المتأخر ، حيث عاش شاعرها كإنسانها العادي : " ملاصقا للواقع ، ملازما للأحداث ، مرتبطا بما يطور وجوده ، هو في حروبها جذوة تشتعل ، ومن حر نهاراتها وهج وقاد ومن نداوة لياليها نفح طراوة وطيب ، وهو ما تمنح أو تمنع ، مما تقسو أو تلين ، متقبل حينا ، متمرد أحيانا ، راض أو راغب ، أو غاضب ، وشأن الأدب على وحي خواطره ، مدد سمي وصادق ، هو مزق شرايين يفجرها وهو يبوح وما بوحه إلا فعل إيمان بما يحس ، بما يعيش ، بما يتنفس ، بما يؤدي من صلاة ..

وأول ما يطالعنا في مثل هذه المواقف المنتمية للقبيلة ، والملتزمة بقضايا الجماعة ، ذلك

الصدق العفوي في المشاعر التي تنقل أبعاد التجارب المعيشة نقلا حيا وصادقا ، فينتهي الأثر الفني حالة إبداعية خاصة تستأثر بأبعاد الحالتين، ضمن إطار تناولي، لم يغفل الابداع المتجاوز لحظة واحدة .

ومن هنا فإن دراسة الملامح المبدئية الثابتة لأبعاد ذلك الانتماء ومعرفة حدود ذلك الالتزام ، يجب أن تبدأ من دراسة مظاهر وأبعاد الشعر الجاهلي ، لما تمخض عنه من مظاهر فنية أعطت الدليل الواضح على مايحمله الفكر العربي من قدرة على تمثل الواقع ، والعيش ضمن مساحته الزمانية ، والمكانية بشروطهما القاسية ، والتعبير عنه ، عبر أقانيم فنية ثابتة مداها الانتماء الروحي والجسدي للقبيلة ، وقوامها الالتزام العفوي الصادق لمتطلبات الجماعة ، ومن نزوع فردي الى حياة أكثر رحابة وأوسع عدلا ، كما نرى في موقف الشاعر الملتزم (طرفة بن العبد) في قصيدته المشهورة :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي
وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلها
وأفردت إفراد البعير المعبد

إنه يضعنا أمام موقف محدد ، يشير إلى أن القبيلة التي ينتمي إليها ، لا تريده لاهيا عابثا، تبع ملذات ، وقانص شهوات ، وإنما تريده أن يكون في أتون الواقع الذي تعيشه القبيلة ككل . وعلى الرغم من العمر القصير الذي عاشه في مساحة الحياة ، فإن ما أشار إليه في هذه القصيدة بالذات يدل على ارتداده إلى خضم الواقع ، والانخراط بقضايا قومه ، فيشير إلى ندم واضح في سلوكه العابث ، وذلك حين يخاطب أخاه (معبد) بعد أن حنق عليه لأنه كان ميالا إلى اللهو والمجون والعبث :

وقربت بالقربى وجدك أنني
متى يك أمر للنكيثة أشهد
وإن أدع للجلى أكن من حماتها
وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم
بكاس حياض الموت قبل التهدد

شهادة بينة تشير إلى التزام بمبادىء أخلاقية عامة ، وبمواقف إنسانية خاصة ، تعيش وتتفاعل في أعماقه التي سرعان ما فجرها ، ثورة أخلاقية وإنسانية على أعمامه الذين ظلموا أمه ، واعتدوا على حقها بعد موت أبيه :

ما تنظرون بحق وردة فيكم
صغر البنون ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره
حتى تظلل له الدماء تصبب
والظلم فرق بين حيي وائل
بكر تساقيها المنايا وتغلب

فهو في مثل هذه المواقف ، شاعر ملتزم بمشاعر ذاتية ، صادرة عن تجارب حياتية معمقة على صغر سنة .:

فلو كان مولاي امرءا هو غيره
لفرج كربي ، أو لانظرني غدي
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي
على الشكر والتسآل أو أنا مفتد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند
فذرني وخلقي إنني لك شاكر
ولو حل بيتي نائيا عند ضرغد

إنه لم يكن بعيدا عن قومه ومتطلباتهم ، بل نراه في معظم قصائده جزءا من حياتهم وآلامهم وآمالهم مدفوعا بانتماء والتزام لا حدود

لهما .

ومن عمق الصحراء يطل (امرؤ القيس) صاحب القلب الكبير ، وقد تلاشت أحلامه وتبددت أمانيه ، بعد أن أضحى ملكا ضليلا غير متوج ، تائها في فيافي الصحراء باحثا عن ذلك المجد المؤمل دون جدوى :

فلو أنني أسعى أدنى معيشة
كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكن ما أسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وفي التفاتة وجدانية ، وبعد أن عاد الوعي إلى عقله ، وشعر بما آل إليه مصيره وقد رأى ذئبا جائعا يعوي في أحد الأودية :

وواد كجوف العير قفر قطعته
به الذئب يعوي كالخليع المعيل
فقلت له لما عوى إن شأننا
قليل الغنى إن كنت لما تحول
كلانا إذا ما نال شيئا أفاته
ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

إنه موقف ملتزم من الواقع الذي وصفه والذئب في وضع مأساوي محدد . ونحن إن تركنا (امرىء القيس) لوجدنا (المهلهل) بعد مقتل أخيه هائجا بلباس الحرب ، وقد كان من قبل متهتكا زير نساء :

ولست بخالع سيفي وترسي
حتى يخلع الليل النهار

وترافقه في رحلته إلى أن ينتهي أجله ، فنراه لا يخلف وعده ، أو ينقض عهده ملتزما بما يفرضه الواقع عليه شاء ذلك أم ابى :

وزهير بن أبي سلمى يبقى ملتزما بقبيلته في الجاهلية وملتزما منتميا للاسلام والسلام ، يحول شعره الى رسول للتآخي ، والمحبة بما يفرضه الاسلام ، وتقره سنة الرسول الكريم :

والتزام الشعراء متفاوت في غاياته ، متباين في مقاصده ، فبينما نجد العقلاء يذمون الحرب، وينادون بالسلم ونبذ الخلافات ، نجد الآخرين من الشباب قد اندفعوا في نيران الحرب، مفاخرين بغاراتهم ، وبما أنجزوه من وسائل تساعد على تأجيج نيران الحرب واستمرارها على أن الرؤية الواضحة لمعالم الالتزام وسمات الانتماء هي التي نراها واضحة في تجارب الشعراء الصعاليك ، الذين نذروا أنفسهم لحياة التحدي لمواجهة واقعهم المرير ، فكافحوا قسوة الحرمان التي تفتك بعائلاتهم وتسلمهم لمجاعة قاتلة :

دعيني للغنى أسعى فإني
رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليه
وإن أمسى له حسب وخير
يقصيه الندى وتزدريه
حليلته وينفره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلال
يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم
ولكن للغنى رب غفور

هذا موقف (عروة بن الورد) الذي كان فيما يبدو سيد الصعاليك . يجمع الفؤاد المتصعلكين ، وكل ثائر على الظلم والحرمان ، يقاسمهم لقمة العيش ولا يستأثر بلقمة دونهم ، وعندما ينفذ زادهم ، يغير بهم على قوافل الأغنياء آملا أن يرفع ظلامة ما ، وهو لا يترك هذا الموقف دون تبرير نفسي واقتصادي :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقتر
من المال يطرح نفسه كل مطرح

وكثيرا ما كان يرفع صوته حين تشتد عليه الفاقة فيصيح :

إذا المرء لم يبعث سواما
ولم يزجر عليه ، ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من حياته
فقيرا ومن مولى تدب عقاربه

وان اعتقد بعض الدارسين بأن هذه المبررات مرفوضة لاسيما وأنه إنسان عاقل ، يعرف مآل هذه القضايا ، فإننا لا نستطيع إلا أن ننحاز إلى صفه لأنه لم يستطع الانفلات من الواقع المفروض عليه ، كما أنه لم يتلاءم مع ظلم وتعسف المجتمع الذي يشكل فيه فردا عاملا ومبدعا ، إن وجوده الافتراضي غير الراغب به أصلا هو الذي دفعه الى ذلك الموقف الرافض وهو الذي وضعه في دروب الحياة صعلوكا متشردا في الآفاق ، بالوقت الذي لا نستطيع إنكار تلك الأحوال الاجتماعية العامة ، والنفسية الخاصة التي تضافرت فيما بينها فجرفت ذلك الإنسان المرهف الإحساس والشعور الى التمرد إلى المجتع، والثورة على القبيلة ونظامها التقليدي ، فكانت رد فعل المجتمع والقبيلة نبذة من فصائلها ليمسي صعلوكا تقوده الثورة الكامنة في أعماقه الى الرفض من أجل الثورة والتغيير ٠

وهذا الموقف غالبا ما كان يتعدى شوره الذاتي ، ونطاق عشيرته ، بهدف المشاركة وتوزيع الثروة مع من يقاسمه تعب الحياة :

دعين أطوف في البلاد لعلني
أفيد غنى فيه لذي الحق محمل
اليس عظيما أن تلم ملمة
وليس علينا في الحقول معول
فإن نحن لم نملك دفاعا بحادث
نلم به الأيام فالموت أجمل

فالكرم في ذات الشاعر معنى وأبعاد كسد المفاقر والحاجة ، كما أنه أبعد من المشاركة التي تأتي من آلام التخمة كما أنه ليس على حرمان يعطى بل على حرمان يوزع نفسه بين نفوس الجماعة ، فيفاخر المتخمون الأشحاء الفقراء الضعفاء :

وإني امرؤ عافى إنائي شركة
وأنت امرؤ عافى إناءك واحد
أتهزأ مني إن سمنت وقد ترى
بجسمي شحوب الحق والحق جاهد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد

من خلال ذلك نلمح أن التزام الصعالكة ، لم يبق في حدود دائرة النقمة على المجتمع ، والفقر ، والظلم والجوع والحرمان ، ولم يظل حقدا اجتماعيا موتورا ، إنما هو موقف إيجابي يسعى إلى تصحيح أوضاع ، ورد ظلامات ورفع شرائع كريمة تبلور مبادىء أولية لتطور مفهوم الاشتراكية في الشعر العربي وعلى الرغم من أن شعر الصعالكة يشير الى عوالم غريبة تفتح أمام العين أكثر من نافذة تطل على حقيقة صراع الانسان مع الوجود ، فإننا سرعان مانلاحظ أن شعرهم يبدو للوهلة الألوى وكانه صدر عن نفس واحدة ، لشاعر متألم واحد ، أليسوا ابناء حياة واحدة ، وتجارب مماثلة ، ومناخ فكري متقارب سعى الى تغيير المجتمع الى واقع أفضل وأجمل ٠

لقد ثار (الشنفري) على عبودية كانت تذله ، ومهانة لحقت به ، وضعه نسب تطارده ، فاشتعلت نفسه نقمة ، يرفدها عشق لا حدود له للحرية ، وأمل عريض بحياة جديدة ، وحرص متفرد على الخلق العربي من أن يتدنى الى المزالق المنخفضة ، ولعل أجمل مافي شعره ذلك التعبير الحي عما يعانيه من جوع ، وحاجة الى الطغام ، مع أنه موقف يتعدى حدود إشباع معدة فارغة ، إنه جوع مقيم إلى موقف عظيم يتمنى أن يتحقق :

أديم مطاف الجوع حتى أميته
واضرب عنه الذكر صفحا فاذهل

وأستف ترب الأرض كي لايرى له
علي من الطول امرؤ متطول
ولولا اجتناب الذام لم يبق مشرب
يعاش به إلا لدي ومأكل
ولكن نفسا حرة لا تقيم بي
على الضيم إلا ريثما أتحول
وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت
خيوط ماري تغار وتفتل

كل ما جاء في شعر الصعاليك كان مركيزا واضحا على أهداف القيم الانسانية والاجتماعية وهي تؤدي رسالتها في التزام موضوعي وانتماء واضح للحق العام ٠

وعندما جاء الاسلام بتعاليمه الانسانية الجديدة ، التي نقلت المجتمع العربي من مجتمع بدوي قبلي ، الى مجتمع مدني جماعي واجتماعي أقام الحق وشرع الانظمة ورفع العقل من مهاوي الضلالة والانحراف ، وارتقى به إلى رحاب المنطق والمعرفة ، مما شكل نوعا من الانتماء الحقيقي لهذا الدين الجديد الذي دافع المؤمنون عنه بأرواحهم وأموالهم ، والتزام مبدئي ثابت وموجه لنصرة الدين والدفاع عنه ، ونشر قيمه السامية التي حملها شعراء الصدر الاسلامي بكل أمانة مما ساهم في رسم المعالم الأولى للشعر السياسي الذي بلغ ذروته إثر نشوء الأحزاب في العصر الأموي ٠ هذا الشعر الذي قام وانتشر بين شعراء الأحزاب، وأصحاب الدعوات والاتجاهات المتضاربة ليشير الى مواقف مبدئية ملتزمة ، مستوحاة من الصراع الدائر بين الأحزاب ، حيث يناصر كل شاعر المبدأ الذي تبناه حزبه ٠

إن هذا اللون من الشعر السياسي كان ظاهرة طبيعية في المجتمع العربي نما وتطور منذ النظام القبلي ، وانتقل إلى عهده بالإمارة بعد تطور المجتمعات العشائرية ، إلى عهده بالأمة العربية بعد نشأة الإسلام ، وصهره لتلك القبائل والتجمعات تحت راية واحدة ، وآثار هذا النمط الشعري تمتد من الجاهلية ابتداء من «المهلهل عمرو بن كلثوم ، والنابغة الذبياني» مرورا بـ «الأخطل وجرير والفرزدق» فشعراء الأحزاب أيام بني أمية وبني العباس ، وإلى يومنا هذا حيث نراه فيما يقوله شعراء التعددية الحزبية في الوطن العربي ، وهو مندفع جميعه بنشر أفكار الحزب وملتزم بما تفرضه استراتيجية هذا الحزب أو ذاك٠

على أن النثر لم يكن بعيدا عن الساحة الثقافية وعن قضايا الانتماء والالتزام ٠ وإن كان أقل فاعلية من الناحية التأثيرية والفنية ولكنه بقي لونا من ألوان هذا الفن النثري الملتزم نحس به منذ (قس بن ساعده) مرورا بالحجاج وزياد بن أمية الى الجاحظ وابن المقفع ، وبديع الزمان ، ثم إلى المفكرين والكلاميين (كالفارابي وابن رشد وابن سينا) الى العلماء (كابن خلدون) حيث يأتي هذا الفيض من الأدب النثري ، مركزا على عنصر الالتزام ، الذي يلتقي مع الشعر في خدمة الأفكار والاتجاهات المحددة ، التي يلتزم بها كل أديب من هؤلاء الأدباء ٠

ويطل (ابن المقفع) طليعة التزامية ، تشكل فيما بينها ثورة عارمة ، وانقلابا فكريا كان له أكبر الأثر في توضيح معالم الحياة الفكرية وقتئذ . حيث جعل من النثر - مبنى ومعنى - مدرسة جديدة كان لها تلاميذها الثائرين في الأدب والسياسة والاجتماع كالرمزية الملتزمة في (كليلة ودمنة) ورسالة الصحابة ، والأدبين الكبير والصغير ، وكلها نماذج نثرية لأدب ملتزم يؤكد قيما إنسانية يؤمن بها ويحاول أن يعلنها على الجماهير كمبادىء أساسية في الحياة ٠

فكليلة ودمنة ، نقد سياسي ملتزم ، تناول الحياة ابتداء من الدولة في نظامها الاداري

والعسكري مرورا بالعلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، انتهاء بالخليفة ونظام الحكم والحاكم ، فهي مروع ثورة قد أعد برنامجها بإحكام ، وربما كانت هذه الثورة هي السبب المباشر في قتله ، ومن بعد (ابن المقعف) يأتي الجاحظ ليؤكد على الجماعة ، وكتابه «البخلاء» وقف على الجماعة ، فيما رآه وتلمسه من أخبارهم وأوضاعهم الاجتماعية ، مع تركيز متعمد على القيم الانسانية ، لا سيما إذا اعتبرنا أن بخلاءه بشر يعيشون بين يديه ، يحلل نفوسهم ، ويغور إلى أعماق كل واحد منهم ، ويقدمهم بإطار من السخرية التي لا تتعدى النقد البناء، هذا إذا وضعنا بعين الاعتبار مافرضه الحكم السياسي في العصر العباسي من قيود على الافكار ومن مقاومة مشاركة الأدباء بمعاناة الشعب والتعبير عنها ، حيث أراد منهم أن يكونوا مجرد مداحين ، ولا مانع من تزوير الحقائق ، ومع هذا بقي من اللهب جمرات لم تنطفىء وشرارات تومض وتتقد كلما وجدت متنفسا لها فأخذت رسالة الأدب تشق طريقها إلى المواقف المبدئية والطليعية ، فكان الشاعر أبا تمام يغني أمجاد العروبة ويخلد مواقفها البطولية ويخوض بشعره ميادين الجهاد فيساهم بشعره وسيفه في معارك العروبة ، مما يجعله شاعرا ملتزما جند سيفه وشعره دفاعا عن حق الجماعة ·

ومع الشاعر (أبي الشمقمق) (مروان بن محمد) نحس بمرارة الحرمان وهو يقيم في منزل اشبه بالعراء مبتليا بفقر وفاقة لا يفارقانه فتعصف المأساة في شعر إنساني ملتزم ·

برزت من المنازل والقباب
فلم يعثر علي أحد الصاب
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي
سماء الله أو قطع السحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي
علي مسلما من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب
يكون من السحاب الى التراب

منزل دون سقف أو باب ، إنه بيت الفقراء المتعبين ، وقد منع عليه ولوج الاعتاب الدافئة ، وفرض عليهم الاستجداء على قوارع الطرق الباردة ، وطرف الأبواب الموصدة ، والغريب في أمر هذا الشاعر الصابر أنه على الرغم من بؤسه وفقره وشقائه هو شاعر معزى ·· ساخر ·· هازيء·· ممازح ·· كأنه في ذلك يعلم الفرح المحرور :

ولا خفت الأباق على عبيدي
وخفت الهلاك على دوابي
ولا حاسبت يوما قهرماني
محاسبة فأغلط في حسابي
وفي ذا راحة وفراغ بال
فدأب الدهر ذا أبدا ودابي

ويتمرس الشاعر بحياة الحرمان والضيق ، ويرتقي وعيه بوجوده ، فيكشف شعره عن حالة من المصارحة بالواقع المشحون بالاضطراب والفوضى فارتسمت معالمها في أداء شعري ملتزم وثائر على مجتمع لا يستطيع أن يضم الجميع تحت لوء العدالة وقد امتدت هذه اللمزات في شعره بأسلوب نقدي بارع ساخر هازيء طريف ذكي مما يجعله شخصية مميزة في عالم الالتزام الفني ·

وفي فنون الشعر الأخرى تطالعنا ظواهر كثيرة من الالتزام التي ارتسمت أبعادها في قصائد الفخر والحماسة والكرم والوصف الذي يتعدى حدود الذات ، ليشير الى مظاهر اجتماعية عامة·

ففي مفاخر الشعراء نتلمس قانون الأخلاق العربية وهي تترسم في جليل مسالكها البشرية المطلة على الواقع الاجتماعي · يقول الشاعر حاتم الطائي مفاخرا :

كريم لا أبيت الليل جاد
أعدد بالأنامل ما رزيت
إذا ما بت أشرب فوق ري
لسكر من الشراب فلا رويت
إذا ما بت أختل عرس جاري
ليخفيني الظلام فلا خفيت

فحاتم الطائي يفاخر بالكرم ، والكرم ضرورة اجتماعية في حياة البادية ، تسد حاجة ملهوف ، وتجد مستغيثا ، وتنقذ شريدا ، كما يفاخر بأنه لا يشرب فوق ري وسكر وهي فضيلة اجتماعية تدل على سوية أخلاقية رفيعة ، كما يفاخر بأنه لا يخون جاره في امرأته ، وهي منتهى الفضائل ٠

وما يصح في شعر الفخر يصح في شعر الحماسة والغزل والرثاء وفي جميعها تفاعل إنساني مع الاخرين ، ومن خلال هذا التفاعل يبرز تعلق الشاعر بها ، فيأتي تعبيره صورة حية لما يعتمل الواقع من أحداث ينقلها الشعر من خلال التزام قد يبد عفويا للوهلة الأولى ، ولكن سرعان ما تتفتح معالمه ، ليبدو التزاما واقعيا ينبع من تفاعل الشاعر مع الأحداث ليغير كل سلبي في العادات والتقاليد وفي فن الوصف أكثر من مادة للالتزام الفني ، فوصف الناقة والفرس لم يأت إلا من خلال تلمس حسي وروحي لفعل التجربة الحياتية مع الناقة التي هي رفيقة دربه إن سنح أن برح :

إني لأمضي الهم عند احتضاره
بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

ومن صفاتها :

إذا أقبلت قلت : مذعورة
أطاع لها الريح قلقا جفولا
وإن أدبرت قلت مشحونة
من الرفد تلحق هيفا ذمولا
وإن أعرضت راء فيها البعير
مالا يكلفه أن يطيلا

كما علينا ألا نتجاهل دور الانتماء في خلق مواقف الالتزام ، كما لا ننسى تلك القدرة الكامنة في الشعر العربي وقد أطلت أكثر من مرة دليلا على التطور والاستيعاب ، والتجدد مع مضامين المواقف الحياتية والاجتماعية المتطورة ومن هذا كان أدب الالتزام وليد أحداث ، وحصيلة تجربة فعلية ، عاشها الشاعر بكل إحساسه ، فجاء معبرا عن مختلف مظاهر الحياة المادية والمعنوية على ضوء الحاجة الجماعية التي ساهمت مساهمة فعالة في رسم ملامح الانتماء والالتزام في الأدب العربي القديم ، الذي واكب حركة الحياة والفن والإبداع حتى أمسى جزءا من الواقع المعيش ، فكل ما يعتمل الحياة من متغيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية سرعان ما كانت تنعكس على حركة الابداع انتماء والتزاما يدل على معنى الحياة ، ويعمل على تطورها الايجابي معتمدا على معطيات الجماهير ومتطلباتها ، وما أفرزته الحركات الابداعية الجديدة من مدارس فنية اتجهت صوب الواقعية والواقعية الاشتراكية التي كانت امتدادا فنيا لتلك الملامح الاساسية التي انطوت عليها تجارب الشعراء والأدباء الملتزمين منذ العصر الجاهلي حتى يومنا هذا ٠

محمد غازي التدمري

في رحاب الأدب السعودي

إعداد : تميم الحكيم

أكد الدكتور عبد الله الزهراني ، رئيس (قسم الأدب) في (جامعة أم القرى) ، من خلال محاضرة ألقاها في (نادي مكة الثقافي الأدبي) ، بحضور رئيس النادي معالي الدكتور راشد الراجح ، أن الشعر العربي الحديث يمر في أزمة تتجلى في غربة الشعر عن متذوقيه ، بسبب انحراف زعماء هذا الشعر عن العقائد الايديولوجية الثابتة ، واللغة السائدة ، والفكرة الواضحة ، وبسبب اعتمادهم الأسطورة المستوردة والقواعد المنحرفة .

وقد استشهد الدكتور الزهراني بالعديد من الأمثلة التي تحمل ملامح الأزمة التي يعاني منها الشعر المعاصر .



نبيه الانصارى

■ د. راشد الراجح

المنهل .. في عدد عن القدس

أصدرت مجلة (المنهل) عددا خاصا عن (القدس) ، تاريخا وحاضرا معاشا ، شارك فيه نخبة من المختصين ، فكان عددا وثائقيا هاما يستحق الاقتناء ..

يذكر أن (المنهل) تصدر في كل عام أعدادا خاصة ، تستقطب اليها أبرز الأقلام المعروفة في الموضوع الذي تطرحه المجلة .

وتعتبر (المنهل) أقدم المجلات السعودية، فقد أصدرها المغفور له الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، عام (١٣٥٥هـ =١٩٢٧م) ويرأس تحريرها الأستاذ نبيه الأنصاري ، أما نائب رئيس التحرير والمدير العام فهو الاستاذ زهير بن نبيه الأنصاري .

الحكمة في الشعر العربي

جاء كتاب (حول الحكمة في الشعر العربي) كواحد من إصدارات (نادي مكة الثقافي الأدبي) الأخيرة القيمة .

وهذا الاصدار عبارة عن دراسة أكاديمية أدبية لجانب هام من الشعر العربي وهو جانب (الحكمة)

ويتألف الكتاب من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ، وهذه الفصول هي : الحكمة بين الخبرة والثقافة ، الحكمة .. ملامح شعرية ، الحكمة .. ملامح بيئية ، الحكمة .. ملامح نفسية، الحكمة .. ملامح جمالية .

ومما أكده المؤلف في نتائج البحث أن الحكمة الشعرية العربية لخصت تجارب الشعراء وخبراتهم وثقافاتهم المتنوعة ، وكانت تتجسد في بيت أو بيتين مما سهل حفظهما وتداولها على السنة الناس ، وأنها لم تخل من التصوير الفني ،

وأنها أصبحت مثلا سائرا ، وكان لها علاقة بيئية الشعراء ، ونفسياتهم ، وإيمانهم ٠٠ وشعر الحكمة - كما يرى الدكتور باقازي - وهو خلاصة الشعر العربي ، وصفوته المختارة وهو أكثر ابيات الشعر العربي شهرة وسيرورة وذويعا طوال هذه القرون على ألسنة الناس .

تميم الحكيم



□ د. عبدالله باقازي □

اللقاء ←

إنّهُ شِعري

شِعر: دولة العبّاس (*)

إنه شعري ٠٠ ولا فرق لدي
أن تراني ٠٠ أو ترى شعري النقي
فكلانا خافق مرتعش
يحمل النجوى إلى الدرب القصي
هكذا كنا وما زلنا معاً
جمرةَ الإحساس والبوح النّدِي
إنه مرآة عمري ٠٠ فانظروا
ما ترامى من فؤادي ٠٠ لِيدَيّ